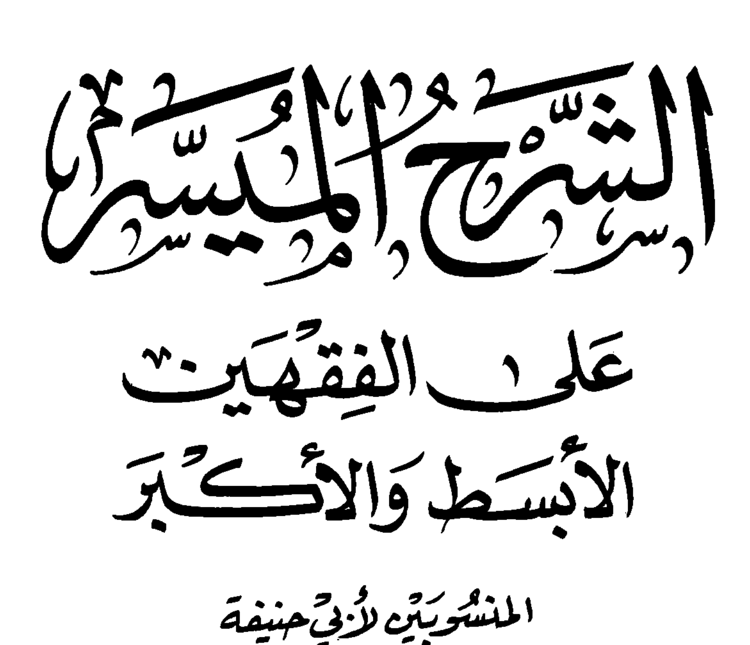


د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

مكتبة الفرقان

عجمان

المقدّمة

إن الحمد لله ، نحمده و نستعينه و نستغفره ، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل ، و من يضلل فلا هادي له ، و أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و أشهد أن محمداً عبده و رسوله . و بعد .....

فإن كتاب (الفقه الأكبر) للإمام أبي حنيفة في مسائل أصول الدين ، من الكتب المشتهرة التي اعتنى بها كثير من علماء الحنفية ، شرحاً و تدريساً و غير ذلك ، و اهتم به غيرهم من العلماء بعد أن ذاع صيته ، و لم أقف على من شرحه شرحاً موافقاً لمذهب السلف ، حيث إن عامة الشراح قد شرحوه بطريقة توافق طريقة المتكلمين ، و قد اعتمد عليه علماء الحنفية و قرروا أنه عقيدة الإمام و يدل على ذلك كثرة شروحه ، ثم إن هذا الكتاب مُعوّل عليه عند الماتريدية و مع ذلك خالفوا بعض مسائله ، كما في عصمة الأنبياء و بعض مسائل الصفات و غيرها ، فهو حجة عليهم ثم إن هذا الكتاب في جملته يوافق ما قرره الطحاوي في بيان عقيدة أهل السنة و الجماعة المشهور المنسوب إلى أبي حنيفة و أبي يوسف و محمد بن الحسن رحمهم الله تعالى .

و راوي هذا الكتاب هو حماد بن أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، فهو ابن المصنف رحمه الله ، و هو أدرى بمذهب أبيه من غيره ، قال عنه بن خلكان (إنه كان على مذهب أبيه ، و إنه كان صالحاً خيراً) و قد ضعفه بعض المحدثين في الرواية ، و لكننا لا نقدح في روايته لهذا الكتاب لملاصقته لأبيه ، و لأن العلماء تناقلوا هذا الكتاب فما رأينا فيه من مخالفة لما قرره الطحاوي في عقيدته ، جزمنا أنه أدخل فيه و ليس من كلام الإمام مثل ما جاء : (أن الله كلم موسى بكلامه الذي هو له صفة في الأزل ، و هو يتكلم بلا آلة و لا حرف) (و لفظنا بالقرآن مخلوق) (و لا يكون بينه و بين خلقه مسافة) فكل هذا مما أحدثه المتأخرون بعد أبي حنيفة و لا يعرف هذا في كلام السلف ، فمنها ما يرجع إلى أن كلام الله معنى نفسي و أن القرآن الذي نقرؤه عبارة عن ذلك المعنى النفسي ، و هذا مذهب أحدثه ابن كلاب ، و منها ما يرجع إلى بدعة التلفظ

بالقرآن ، و أول من أحدثها الكرابيسي في زمن الإمام أحمد بن حنبل ، و منها ما يرجع إلى شروط مخترعة ، توجب امتناع الرؤية ، و هذا مما أحدثه أهل الكلام من الأشعرية و الماتريدية فكل هذا مما أدخل على هذا الكتاب ، و ما عدا ذلك فيظهر أنه كلام الإمام رحمه الله ، أو من تخريج ولده حماد على كلامه .

و منهجي في إخراج هذا الكتاب ما يلي :

١) وضع عناوين جانبية تقسم الكتاب إلى فقرات .

٢) وضع المتن في أعلى الصفحة .

٣) شرح الكلمات الغامضة .

٤) شرح المتن إجمالاً بطريقة مبسطة موافقة لمذهب السلف .

٥) عزو الآيات إلى مواضعها في القرآن .

٦) تخريج الأحاديث النبوية مع بيان درجتها ما أمكن .

٧) عمل خلاصة لكل فقرة مما يسهل الاستفادة منها .

٨) وضع أسئلة للمناقشة و ذلك لبيان مدى الاستفادة منها ، و لكي يكون كتاباً مدرسياً يسهل تناوله للطلاب .

و ما كان فيه من حق فمن الله ، و ما كان سوى ذلك فمن نفسي و استغفر الله من كل ذنب .

و الله من وراء القصد و هو حسبنا و نعم الوكيل .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د. محمد عبد الرحمن الخميس

ترجمة الإمام أبي حنيفة

اسمه و كنيته و لقبه :

هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زطي – بضم الزاي و فتح الطاء – الخـــزاز الكوفي .

مولده : ولد سنة ٨٠ هـــ بالكوفة في حياة صغار الصحابة .

قال عنه الفضيل بن عياض (كان أبو حنيفة رجلا فقيها معروفا بالفقه ، مشهورا بالورع ، واسع المال ، معروفا بالأفضال على كل من يطيف به ، صبورا علـــى تعليـــم العلم بالليل و النهار ، كثير الصمت ، قليل الكلام ، حتى ترد مسألة في الحلال و الحرام فكان يحسن أن يدل على الحق هاربا من السلطان)[١]

و قال عنه ابن عبد البر : (كان في الفقه إماما ، حسن الرأي و القياس ، لطيــف الاستخراج جيد الذهن ، حاضر الفهم ذكيا ورعا عاقلا) .[٢]

و قال عنه شيخ الإسلام : (إن أبا حنيفة و إن كان الناس خالفوه في أشـــياء ، و أنكروها عليه فلا يستريب أحد في فقهه و فهمه و علمه)[٣] .

و قال عنه الذهبي : (كان إماما ورعا عالما متعبدا كبير الشأن لا يقبل جوائـــز السلطان) .[٤]

و قد ارتفع شأنه حتى أصبح أحد الأئمة الأربعة المتبوعين أصحـــــاب المذاهـــب المنتشرة .

وفاته : توفي رحمه الله ليلة النصف من شعبان سنة ١٥٠ هـــ ، و دفن في مقـــابر الخيزران ببغداد ، و كان عمره سبعين عاماً[٥].

---

[١] تاريخ بغداد (٣٤٠/١٣)

[٢] الاستغناء (٥٧٢/١)

[٣] منهاج السنة (٥٧٢/٢)

[٤] تذكرة الحفاظ (١٦٨/١)

[٥] الانتقاء (ص ١٧١)

بيان أصول الإيمان

أصل التوحيد ، و ما يصح الاعتقاد عليه

يجب أن يقول : آمنت بالله

اللغة : (أصل) أصل الشيء أساسه الذي يقوم عليه ، و منشؤه الذي ينشأ منه .

الشرح : بدأ الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى ببيان ما يجب في باب الاعتقاد ، و ما لا يكون الاعتقاد صحيحاً إلا به ، و أصل و أساس التوحيد ، و هو أن يقول الإنسان " آمنت بالله " و معنى التلفظ بذلك أن القائل يقر و يعترف بإيمانه بالله تعالى ، و هذا الإيمان له ثلاثة أنواع :

الأول : توحيد الربوبية هو أن يؤمن بأن الله تعالى هو المنفرد بالخلق و الرزق و التدبير و التصرف و الملك في هذا الكون ، قال – تعالى -: { هل مِن خالقٍ غيرُ الله يرزقكم مِن السَّمآء و الأَرضِ } [1] .

و كل الخلق عموماً مقرون بهذا النوع من التوحيد و يسمى توحيد الربوبية ، فلا رب للخلق إلا الله عز وجل .

النوع الثاني : توحيد الأسماء و الصفات ، و معناه الإقرار و الاعتراف بأن الله تعالى واحد في أسمائه و صفاته ، فنثبت لله تعالى كل ما أثبته لنفسه من الأسماء الحسنى و الصفات العلى ، التي أثبتها لنفسه في كتابه أو أثبتها له رسوله ﷺ من غير أن نكيفها بكيفية معينة ، و من غير أن نمثلها بصفات المخلوقين أو نشبه الله بخلقه ، و من غير أن نلحد فيها بتحريف في معناها ، أو تأويل يخرجها عن معناها الحقيقي ، و ذلك كله مع إثبات التنزيه لله تعالى إذ قال في محكم كتابه {ليس كمثله شيء و هو السميع البصير} [2] ففيها التنزيه عن المشابهة مع إثبات الصفات .

---

[1] سورة فاطر الآية (٣)

[2] سورة الشورى الآية (١١)

النوع الثالث : توحيد العبودية (الألوهية) و يشتمل على الإقرار و الاعتراف بأنه تعالى المستحق للعبادة دون سواه ، و ذلك هو مقتضى شهادة (لا إله إلا الله) ، فهي نفي لجميع الآلهة الباطلة ، ثم إثبات العبادة لله وحده دون سواه ، و كل الآلهة غير الله باطلة . قال الله تعالى {**ذلك بأن الله هو الحق و أن ما يدعون من دونه هو الباطل**}[1] و ذلك لكونها ليس لها من أمر الربوبية شيء ، فيجب الإقرار بوجوب إفراد الله بالعبادة ، ثم بعد ذلك تصرف العبادة كلها له وحده دون سواه ، من صلاة و زكاة و صوم و حج و نذر و نحر و رغبة و رهبة و خوف و رجاء و توكل و غيره ، و من صرف شيئاً من العبادة لغيره سبحانه فقد أشرك .

[1] سورة الحج الآية (٦٢)

اللغة : (ملائكة) جمع ملك و هو خلق نوراني لطيف قائم على أمر الله
(رسل) جمع رسول من نزل إليه شرع و أمر بتبليغه .

الشرح : و من أركان الإيمان ، الإيمان بالملائكة ، خلقوا لعبادة الله و القيام على إنفاذ أمره ، و هم متنوعون و لكل منهم وظيفته ، فيجب الإيمان بهم إجمالاً ، ثم يجب الإيمان تفصيلاً بمن ورد فيه نص ،و خزنة الجنة ،و خزنة النار، و منكر و نكير ، و رقيب و عتيد ، و الحفظة و غيرهم . فكل هؤلاء يجب الإيمان بهم تفصيلاً .

- و من أركان الإيمان أيضاً : الإيمان بالكتب التي أنزلها الله تعالى على بعض رسله ، و فيها شرع الله تعالى و المواعظ لعباده فيجب الإيمان بها إجمالاً ، و ربما ورد به النص منها تفصيلاً و هي : التوراة و الإنجيل ، {و أنزل التوراة و الإنجيل }[1] . و الزبور ، قال تعالى : { و آتينا داود زبوراً }[2] و صحف إبراهيم و موسى ، و القرآن و هو خيرها و خاتمها و المصدق لها و المهيمن عليها ، و هو كلام الله تعالى ، لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد،فيجب الإيمان بكل ذلك
- و من أركان الإيمان أيضاً : الإيمان بالرسل ، و معناه الإيمان بأن الله تعالى اختار من الناس رسلاً لإبلاغ شرعه و وحيه ، قال تعالى :{ الله يصطفي من الملائكة رسلاً و من الناس }[3] . و قال عز وجل :{رسلاً مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} .[4] و هؤلاء هم خير بني آدم على الإطلاق ، و منهم من

[1] سورة آل عمران الآية (٣)
[2] سورة النساء الآية (١٦٣)
[3] سورة الحج الآية (٧٥)
[4] سورة النساء الآية (١٦٥)

نعرفه و منهم من لا نعرفه كما قال عز وجل : { **و رسلاً قد قصصناهم عليك من قبل و رسلاً لم نقصصهم عليك** } [1]. و أول الرسل هو نوح عليه السلام، و آخرهم و خيرهم محمد ﷺ و المذكورين في كتاب الله خمسة و عشرون ، نؤمن هم تفصيلاً ، و من أنكر نبوة أحدهم كفر ، و نؤمن بالباقين على وجه الإجمال و لا نفرق بين أحد من رسل الله تعالى بل نحبهم و نؤمن هم أجمعين .

[1] سورة النساء الآية (١٦٤)

و البعث بعد الموت ، و القدر خيره و شره من الله تعالى

اللغة : (البعث) الإحياء بعد الموت (القدر) المراد منه المقدور و التقدير .

الشرح : و يجب الإيمان بالبعث بعد الموت ، و ذلك يعني الإيمان بأن الله تعالى يبعث الناس بعد موتهم ، أي يحييهم بعد الموت ، فيحاسبهم على ما قدموا في الدنيا ، و يجازيهم على أعمالهم ، و البعث يكون للأرواح و للأجساد معاً ، يركب الله الإنسان مرة أخرى كما ركبه في أول خلقه ، فيحييه و ذلك على الله يسير ، قال الله عز وجل في الرد على من استغرب البعث : { أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه *بلى قادرين على أن نسوي بنانه * } [1] و قال تعالى حاكماً بكفر من أنكر البعث : { زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى و ربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم و ذلك على الله يسير } [2] ، فمن أنكر البعث كفر ، بل يبعث الله الناس يوم القيامة فيجزيهم بأعمالهم ، كما قال عز وجل {يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله و نسوه و الله على كل شيء شهيد } [3] .

و أما الإيمان بالقدر فهو من أعظم أركان الإيمان، **و يتضمن الإيمان بأربعة أمور** :

الأول : الإيمان بالعلم : و معناه الإيمان بأن الله تعالى علم كل شيء قبل خلقه ، و قبل خلق السماوات و الأرض فلم يخف عليه خافية ، كما قال تعالى { إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض و لا في السماء } [4] .

---

[1] سورة القيامة الآيتان (٣ : ٤)

[2] سورة التغابن الآية (٧)

[3] سورة المجادلة الآية (٦)

[4] سورة آل عمران الآية (٥)

و قال عزو جل : { و ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض و لا في السماء و لا أصغر من ذلك و لا أكبر } [1] . قال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته : " و لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم ، و علم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم " .[2]

الثاني : الإيمان بالكتابة : و معناه الإيمان بأن الله تعالى كتب كل شيء يكون في هذا الكون قبل خلقه ، فكتب الصغير و الكبير ، و لم يترك شيئاً إلا أحصاه،كما قال عز وجل{ما أصاب من مصيبة في الأرض و لا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها }[3]، وهذا التقدير الأزلي الذي لم يخرج عنه شيء قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى في عقيدته " و نؤمن باللوح و القلم ، و بجميع ما فيه قد رقم ، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه و لو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه ، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة " [4] .

الثالث : الإرادة : و معناه الإيمان بأنه لا يكون شيء في هذا الكون إلا بمشيئة الله فما شاء الله كان ، و ما لم يشأ لم يكن ، و أن إرادته و مشيئته نافذة لا تتخلف أبداً و حتى الخير و الشر كله كائن بمشيئة الله تعالى ، قال عز وجل { و ما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين } [5] .

و قال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته " و كل شيء يجري بتقديره و مشيئته ، و مشيئته تنفذ ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم ، فما شاء لهم كان و ما لم يشأ لم يكن "[6]

[1] سورة يونس الآية (٦١)
[2] شرح العقيدة الطحاوية (ص ٩٥)
[3] سورة الحديد الآية (٢٢)
[4] شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٣٣ : ٢٣٤)
[5] سورة التكوير الآية (٢٩)
[6] شرح العقيدة الطحاوية (ص ٩٥)

الرابع : الخلق : فكل شيء كائن فالله تعالى هو الذي خلقه و أوجده ، و أعمال العباد مخلوقة لله تعالى ، الخير و الشر ،كما قال عز وجل :{و الله خلقكم و ما تعملون} [1] و قال تبارك و تعالى :{ و أضله الله على علم } [2].و قد خالفت القدريـــــة في هـــذا و جعلوا الإنسان مريداً للشر خالقاً له دون إرادة الله تعالى و خلقه ، فجعلوه خالقاً مـع الله عز وجل .

[1] سورة الصافات الآية (٩٦)

[2] سورة الجاثية الآية (٢٣)

اللغة : (الحساب) مصدر حاسب ، أي ناقش و جزى (الميزان) مفعال من وزن ، و هو ما يوزن به .

الشرح : و يؤمن أهل السنة بالحساب : فالله تعالى يبعث الناس يوم القيامة ، فيحاسبهم بأعمالهم و يجازيهم بها ، و هذا من أعظم الأمور التي تكون في يوم القيامة ، قال عز وجل : { فأما من أوتى كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابا يسيرا } [1]، و قال : { فحاسبناها حسابا شديدا و عذبناها عذابا نكرا } [2].

و يؤمنون أيضا بالميزان : و هو ميزان عظيم له كفتان حقيقيتان ، توزن به أعمال العباد يوم القيامة ، فمن رجحت حسناته فقد فاز ، و من رجحت سيئاته فقد خسر ، و قال تعالى : { و نضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا و إن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين } [3] . و قال الطحاوي في عقيدته : " و نؤمن بالبعث و جزاء الأعمال يوم القيامة و العرض و الحساب و قراءة الكتاب و الثواب و العقاب و الصراط و الميزان " .[4]

[1] سورة الانشقاق الآيتان (٧ : ٨)

[2] سورة الطلاق الآية (٨)

[3] سورة الأنبياء الآية (٤٧)

[4] شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٩٦)

اللغة :

الشرح : و من أعظم الأمور التي يؤمن بها أهل السنة مما يتعلق باليوم الآخر ، الجنة و النار ، فالجنة دار المتقين الصالحين ، و دار الطيبين ، فيها النعيم المقيم ، و هي دار الثواب و النعمة و الرحمة ، و النار دار الكافرين و المنافقين و الفاسقين ، فيها العذاب الأليم ، و هي دار العقوبة و النقمة ، ليس فيها خير أبدا ، و الآيات في ذكرهما لا تحصى منها قوله تعالى : { و من يطع الله و رسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها و ذلك الفوز العظيم * و من يعص الله و رسوله و يتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها و له عذاب مهين } [1]و قال : { و من يطع الله و رسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار } [2]. و قال { إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا } [3].و قال عز وجل : { و سيق الذين اتقو ربهم إلى الجنة زمرا } [4]و قال{و سيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا }[5] فكل ذلك حق يجب الأيمان به،ومن كذب بشيء من ذلك فهو كافر بالله تعالى

الخلاصة :

أصول الإيمان أن يؤمن الإنسان بالله تعالى و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر بما فيه من جنة و نار و حساب و ميزان و صراط ، و الإيمان بالقدر خيره و شره

المناقشة :

س١ –ما هي أصول الإيمان ؟

س٢ – أذكر بعضا من مشاهد يوم القيامة .

[1] سورة النساء الآيتان (١٣ : ١٤)

[2] سورة الفتح الآية (١٧)

[3] سورة الكهف الآية (١٠٢)

[4] سورة الزمر الآية (٧٣)

[5] سورة الزمر الآية (٧١)

وحدانية الله تعالى

و الله تعالى واحد ، لا من طريق العدد ، و لكن من طريق أنه لا شريك له ، لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد ، لا يشبه شيئا من الأشياء من خلقه ، و لا يشبهه شيء من خلقه ، لم يزل و لا يزال بأسمائه و صفاته الذاتية و الفعلية .

اللغة : (كفوا) الكفء هو النظير و المساوي و الند (الذاتية) الصفات اللازمة للذات (الفعلية) المتعلقة بالمشيئة .

الشرح : الله تعالى واحد ، ليس بمعنى الواحد الذي هو نصف الاثنين ، و لكن بمعنى أنه واحد لا شريك له ، لا في ربوبيته ، و لا في ألوهيته ، و لا في أسمائه و صفاته ، و ما ورد من اشتراك في اسم أو صفة بين الله تعالى و بين خلقه ، فالاشتراك في اللفظ و المعنى الكلي و ذلك نحو { إن الله كان سميعا بصيرا } [1] و قوله في الإنسان : { فجعلناه سميعا بصيرا } [2] فالاشتراك كلي ، و أما حقيقة الاسم و الصفة و كيفيتها فإنها تختلف في حق الله عنها في حق المخلوق كاختلاف ذات الله عن ذات المخلوق و الله تعالى من صفته أنه { لم يلد و لم يولد * و لم يكن له كفوا أحد } [3] فهو متنزه سبحانه عن أن يكون له ولد ، و متنزه عن أن يكون له والد ، فإن ذلك يستلزم الحدوث،و هذا متصور في حق المخلوقات ، و أما في حقه تعالى فهو مستحيل،و الله تعالى لا يشبه أحدا من خلقه ، و لا يشبهه أحد من خلقه ، كما قال تعالى { ليس كمثله شيء و هو السميع البصير } [4]

---

[1] سورة النساء الآية (٥٨)

[2] سورة الإنسان الآية (٢)

[3] سورة الإخلاص الآيتان (٣ : ٤)

[4] سورة الشورى الآية (١١)

بل إنه سبحانه و تعالى أول بلا ابتداء و آخر بلا انتهاء ، أول قبل كل شـــــيء و آخر بعد كل شيء ، أول و آخر بأسمائه الحسنى ، و صفاته العلى ، الذاتية منها و الفعلية أما الذاتية فهي الصفات اللازمة للذات أولا و آخرا و لا ترتبـــط بالمشـــيئة ، و ذلـــك كالحياة مثلا ، و أما الفعلية فهي التي ترتبط بالمشيئة فتكـــون إذا أراد الله أن تكـــون : كالغضب و الرضى ، و هي قديمة النوع و إن كانت إحداها مرتبطة بالمشيئة ، أما الذاتية فهي قديمة مطلقا و تقسيم الصفات إلى ذاتية و فعلية تقسيم مشهور عند أهل الســـنة و الجماعة [1].

[1] انظر الأسماء والصفات (ص ١١٠) و الاعتقاد (ص ٧٠ : ٧٢) كلاهما للبيهقي ، و اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص ٣٠٠) و مجموع الفتاوى (٥/٩٩) (٦ / ٢٦٨) و العلو للذهبي ص (١٧٤)

الصفات الذاتية و الفعلية

أما الذاتية : فالحياة و القدرة و العلم و الكلام و السمع و البصر و الإرادة ، و أمـا الفعلية فالتخليق و الترزيق و الإنشاء و الإبداع و الصنع و غير ذلك مـن صفـات الفعل ، لم يزل و لا يزال بصفاته و أسمائه لم يحدث له صفة و لا اسم .

اللغة : (التخليق) خلق الأشياء (الترزيق) رزق الكائنات (الإنشاء) الابتـداء (الإبداع) أي على غير مثال سبق .

الشرح : ثم بين رحمه الله بعضا من الصفات الذاتية كصفة الحيـلة { و توكل على الحي الذي لا يموت } [1]، { الحي القيوم } [2] ، و العلم لقولـه { يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم } [3] و الكلام لقوله { يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالتي و بكلامي } [4] و قوله { و كلم الله موسى تكليما } [5] . و القدرة لقوله{ إن الله على كل شيء قدير }[6] و السمع و البصر لقوله : { إن الله كان سميعا بصيرا }[7] . و الإرادة لقولـه { فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام و من يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا . . }[8] و ذكر بعضا من الصفات الفعلية مثل التخليق لقوله{ الله خالق كل شيء }[9] .و الترزيق لقوله { و ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها } [1]

---

[1] سورة الفرقان الآية (٥٨).

[2] سورة البقرة الآية (٢٥٥)

[3] سورة البقرة الآية (٢٥٥)

[4] سورة الأعراف الآية (١٤٤)

[5] سورة النساء الآية (١٦٤)

[6] سورة البقرة الآية (٢٠)

[7] سورة النساء الآية (٥٨)

[8] سورة الأنعام الآية (١٢٥)

[9] سورة الزمر الآية (٦٢)

و الإنشاء لقوله { و هو الذي أنشأ لكم السمع و الأبصار و الأفئدة }[2].و الإبداع لقوله : { بديع السماوات و الأرض }[3]. و الصنع لقوله : { صنع الله الذي أتقن كل شيء }[4] .

و الله تعالى أول بأسمائه و صفاته فلم يحدث اسم و لا صفة بعد أن لم تكن بـــل أسماؤه و صفاته قديمة .

الخلاصة :

أن الله تعالى واحد لا شريك له ، و لا في ذاته ، و لا في أفعاله ، و لا في أسمائـه و لا في صفاته ، و هو أول بلا ابتداء ، و صفاته كلها أزلية ، الذاتية منها و الفعلية .

المناقشة :

س١ – ما الدليل على أن الله تعالى أول قبل كل شيء ؟

س٢ – هل صفات الله قديمة أم لا ؟

س٣ – اذكر ثلاثا من الصفات الذاتية ، و ثلاثا من الصفات الفعلية .

---

[1] سورة هود الآية (٦)

[2] سورة المؤمنون الآية (٧٨)

[3] سورة الأنعام الآية (١٠١)

[4] سورة النمل الآية (٨٨)

صفات الله أزلية

لم يزل عالما بعلمه ، و العلم صفة في الأزل ، و قادرا بقدرته ، و القدرة صفة في الأزل ، و متكلما بكلامه ، و الكلام صفة في الأزل ، و خالقا بتخليقه ، و التخليق صفة في الأزل ، و فاعلا بفعله ، و الفعل صفة في الأزل ، و الفاعل هو الله تعلى ، و الفعل صفة في الأزل ، و المفعول مخلوق ، و فعل الله تعالى غير مخلوق .

اللغة : (في الأزل) في القدم .

الشرح : إن الله تعالى عليم لا يغيب عنه شيء ،و ذلك كما قال تعالى :{ إن الله عالم غيب السماوات و الأرض } [1] ، و قال عز وجل : { إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض و لا في السماء } [2] و علمه تعالى صفة لذاته ، و هي صفة أزلية قديمة ، ليست محدثة بعد أن لم تكن ، و من قال إن الله كان لا يعلم حتى أحدث لنفسه علما فهو كافر بالله تعالى ، إذ جحد صفة ثابتة لله تعالى ، و رماه بالنقص .

و الله – عز وجل – قادر على كل شيء ، كما قال عز وجل { إن الله على كل شيء قدير } [3] ، فلا يعجزه شيء كما قال { و ما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات و لا في الأرض } [4] ، و قدرته تعالى صفة ذاتية قديمة في الأزل ، و ليست محدثة ، فمن أنكرها و زعم أن الله تعالى صار قادرا بعد أن لم يكن و أحدث لنفسه قدرة بعد أن لم تكن ، فهذا كافر بالله تعالى ، حيث رمى الله تعالى بالنقص ، و نفى صفته الثابتة .

---

[1] سورة فاطر الآية (٣٨)

[2] سورة آل عمران الآية (٥)

[3] سورة البقرة الآية (٢٠)

[4] سورة فاطر الآية (٤٤)

- و كذلك صفة الكلام صفة ذاتية قديمة ، فالله تعالى متصف بصفة الكلام من قبل أن يتكلم : قال الله عز وجل{ وكلم الله موسى تكليما }[1] و قال{ وكلمه ربه}[2] فالله تعالى يتكلم بما يشاء و قتما يشاء ، لم يزل و لا يزال متكلما ، و لا يشبه كلامه كلام البشر ، و من أنكر صفة الكلام لله تعالى فقد كفر .
- و من صفاته تعالى أنه فاعل بفعله، فالله تعالى إذا أراد أن يفعل شيئا فعله ، و صفة الفعل صفة أزلية قديمة ، لم يزل و لا يزال فاعلا لما يشاء ،وذلك كما قال تعالى { فعال لما يريد }[3] فمن أنكر هذه الصفة لله تعالى فقد كفر ، و نفى عن الله صفة ثابتة له كذلك ، و الصفات فرع عن الذات فهي قديمة قدم الذات و الفاعل لكل شيء حقيقة هو الله تعالى ، و الفعل صفة من صفاته ، و أما المفعولات فهي المخلوقات ، فهي مخلوقة ، و لكن فعل الله غير مخلوق ، بل هو من صفاته الأزلية .
- و من صفاته أنه خالق لكل شيء كما قال : { الله خالق كل شيء }[4] و الخلق بمعنى التخليق صفة أزلية قديمة .

---

[1] سورة النساء الآية (١٦٤)

[2] سورة الأعراف الآية (١٦)

[3] سورة البروج الآية (١٦)

[4] سورة الزمر الآية (٦٢)

القول في القرآن

و صفاته في الأزل غير محدثة و لا مخلوقة ، و من قال إنها مخلوقة أو محدثة أو وقف أو شك فيهما فهو كافر بالله تعالى . و القرآن كلام الله – تعالى – في المصاحف مكتوب و في القلوب محفوظ ، و على الألسن مقروء و على النبي عليه الصلاة و السلام منزل ، و لفظنا بالقرآن مخلوق و كتابتنا له مخلوقة و قراءتنا له مخلوقة ، و القرآن غير مخلوق .

اللغة :

الشرح : فمن زعم أن الله تعالى أصبح خالقا بعد أن لم يكن فهو كافر .

قال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته : " مازال بصفاته قديما قبل خلقه ، لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته كما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبديا ، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ، و لا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري ، له معنى الربوبية و لا مربوب و معنى الخالق و لا مخلوق ، و كما أنه محيي الموتى بعدما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم ، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم " .[1]

فكل صفات الله تعالى أزلية غير محدثة و لا مخلوقة ، و من قال إن صفات الله تعالى محدثة أو مخلوقة أو توقف في نفي الحدوث عنها ، أو شك في أزليتها و قدمها ، فهو كافر بالله تعالى .

و القرآن الكريم كلام الله تعالى ، كما قال عز وجل : { و إن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه }[2] و قد أجمع أهل الحق على أن هذا القرآن كلام الله تعالى ، ومن نفى أنه كلام الله فقد كفر ، و هو مكتوب في المصاحف ، محفوظ في القلوب و مقروء على الألسن و منزل على النبي عليه الصلاة و السلام كما قال تعالى { إنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية (ص ٦٨ : ٨٣)

[2] سورة التوبة الآية (٦)

من المنذرين * بلسان عربي مبين }[1] و قال عز وجل { تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا }[2].

و لفظ القارئ بالقرآن هو من فعل العبد ، و صوته و حركة لسانه مخلوق ، و كتابة الكاتب للقرآن مخلوقة ، و القرآن في كل ذلك غير مخلوق بل هو كلام الله تعالى غير مخلوق ثم قولنا " و لفظنا بالقرآن مخلوق .. " ليس على طريقة أهل السنة بل على طريقة أهل الكلام و ليس من كلام أبي حنيفة رحمه الله لأن مسألة اللفظ إنما حدثت بعدما قال ابن كلاب بالكلام النفسي و تستر بها بعض الجهمية لأنهم كانوا يريدون به الملفوظ و هو القرآن فأنكر عليهم أئمة السنة أمثال الإمام أحمد و غيره سدا للذريعة إلى القول بخلق القرآن ، قال الإمام الطحاوي في عقيدته : " و إن القرآن كلام الله ، منه بدأ بلا كيفية قولا ، و أنزله على رسوله و حيا و صدقه المؤمنون على ذلك حقا ، و أيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ، ليس بمخلوق ككلام البرية ، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر،و قد ذمه الله و عابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى :{سأصليه سقر }[3] فلما أوعد الله بسقر لمن قال : { إن هذا إلا قول البشر }[4] علمنا و أيقنا أنه قول خالق البشر ، و لا يشبه قول البشر " .[5]

---

[1] سورة الشعراء الآيات (١٩٢ : ١٩٥)

[2] سورة الفرقان الآية (١)

[3] . المدثر الآية ٢٦ .

[4] . المدثر . الآية ٢٥

[5] شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٢١ : ١٢٢)

و ما ذكره الله تعالى في القرآن حكاية عن موسى و غيره من الأنبياء عليهم السلام ، و عن فرعون و إبليس ، فإن ذلك كله كلام الله تعالى إخبارا عنهم ، و كلام الله تعالى غير مخلوق ، و كلام موسى و غيره من المخلوقين ، و القرآن كلام الله تعالى فهو قديم لا كلامهم ، و سمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى ، كما في قوله تعالى

{ و كلم الله موسى تكليما }

اللغة :

الشرح : و كل ذلك ذكره الله تعالى في القرآن ، حكاية عن موسى عليه السلام أو غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، من كلام قالوه ، أو ما حكاه الله تعالى عن فرعون و إبليس ، من جنس قول فرعون : { أنا ربكم الأعلى } [1].أو قول إبليس : { ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين } [2]، و كذلك كلام الأمم التي كذبت رسلها و ما ردوا على رسلهم ، كل ذلك مما حكاه الله تعالى إخبارا عنهم ، و كلامه تعالى غير مخلوق ، أما كلام موسى الذي قال حين قاله ، و كلام فرعون و إبليس و غيرهم من المخلوقات ، كل ذلك مخلوق ، لأن أفعال العباد مخلوقة ، لكن ما حكاه الله تعالى عنهم فإنما هو كلامه ، و كلامه غير مخلوق . بقي هل هو قديم أم حادث ، فالصواب أن كلامه تعالى قديم النوع ، حادث الأفراد بمعنى أن أفراده تتجدد لا بمعنى أن أفراده مخلوقة فكثير من أفراد كلامه تعالى لم يتكلم الله بها تعالى حتى الآن ، بل متجدد فيما بعد و بهذا زال كثير من إشكالات المتكلمين فمن زعم أن في القرآن حرفا مخلوقا فقد كفر بالله تعالى .

و قد سمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى حين كلمه،سمعه بأذنيه حقيقة ، كما قال تعالى {وكلم الله موسى تكليما } [3] و قال{و لما جاء موسى لميقاتنا و كلمه ربه } [1]

---

[1] سورة النازعات الآية (٢٤)

[2] سورة الأعراف الآية (٢٠)

[3] سورة النساء الآية (١٦٤)

فهو كلام حقيقي بصوت و حرف ، سمعه موسى حقيقة .

الخلاصة :

إن الله تعالى عالم في الأزل قادر في الأزل متكلم في الأزل ، خـــالق في الأزل ، و القرآن كلام الله غير مخلوق و ما حكاه الله في القرآن عن المخلوقين ، فإنه كلامه تعـــالى إخبارا عنهم .

المناقشة :

س١ – هل القرآن مخلوق ؟ و ما حكم من قال ذلك ؟

س٢ – ما حكاه الله تعالى عن الكفار في كتابه ، هل هو كلامه أم لا ؟

[1] سورة الأعراف الآية (١٤٣)

و قد كان الله تعالى متكلما و لم يكن كلم موسى عليه السلام ، و قد كان الله تعالى خالقا في الأزل و لم يخلق الخلق ، فلما كلم الله موسى كلمه بكلامه الذي هو له صفة في الأزل ، و صفاته كلها بخلاف صفات المخلوقين ، يعلم لا كعلمنا ، و يقدر لا كقدرتنا ، و يرى لا كرؤيتنا .

اللغة :

الشرح : لقد كان الله تعالى متكلما من قبل أن يكلم موسى ، و ذلك لأن الكلام صفته الأزلية ، فهو متكلم بكلام حقيقي ليس ككلام المخلوقين ، لم يزل و لا يزال متكلما وقتما يشاء ، متكلم قبل أن يكلم موسى و بعد أن كلمه ، لم تحدث له صفة الكلام بعد أن لم تكن ، و لما كلم موسى عليه السلام كلمه بكلامه الذي هو صفة به في الأزل ، و سمعه موسى عليه السلام عل الحقيقة .

و هكذا جميع صفاته تعالى أزلية ، و لا تشبه صفات المخلوقين ، قال تعالى : { ليس كمثله شيء و هو السميع البصير } [1] فمن زعم أن صفات الله تعالى كصفات المخلوقين ، و من زعم أن الله تعالى يشبه أحدا من خلقه أو يشبهه أحد من خلقه فهو كافر بالله العظيم .

هذا مع العلم أن صفاته تعالى أزلية ، و تدل على معان حقيقية ، لكن على الكيفية اللائقة بالله تعالى و لا يعلم هذه الكيفية على حقيقتها إلا الله تعالى ، فهي مما استأثر الله عز وجل بعلمه .

و الله تعالى يعلم كل شيء ، الصغير و الكبير ، الجزئيات و الكليات ، كما قال تعالى { إن الله بكل شيء عليم } [2] و علمه تعالى علم كامل لا يغيب عنه شيء ، مطلق لا تخفى عليه ذرة ، بخلاف علم المخلوقين ، فإن الله تعالى لايشبهه شيء من خلقه فصفته غير صفة المخلوقين و الله تعالى قادر ، و قدرته مطلقة لا يعجزها شيء ، كما

---

[1] سورة الشورى الآية (١١)

[2] سورة المجادلة الآية (٧)

قال عز وجل : { إن الله على كل شيء قدير } [1] . فلا يعجزه شيء سبحانه و تعالى ، فقدرته ليست كقدرة المخلوقين .

و هو سبحانه و تعالى يرى كل شيء لا تخفى عليه من أمور خلقه خافية ، قال تعالى : { قال لا تخافا إنني معكما أسمع و أرى } [2] ، و صفة الرؤية عند الله تعالى ليست كصفة الرؤية عند المخلوقين ، و هي و إن كانت تدل على معنى حقيقي ، لكن كيفيتها لا يعرفها إلا الله تعالى .

و هكذا كل صفاته تعالى لا يعلم على أي كيفية هي إلا هو سبحانه و تعالى ، فهي مما استأثر الله بعلمه .

---

[1] سورة البقرة الآية (٢٠)

[2] سورة طه الآية (٤٦)

و يتكلم لا ككلامنا ، و يسمع لا كسمعنا ، و نحن نتكلم بالآلات و الحروف ، و الله تعالى يتكلم بلا آلة و لا حروف ، و الحروف مخلوقة ، و كلام الله تعالى غير مخلوق ، و هو شيء لا كالأشياء و معنى الشيء الثابت بلا جسم و لا جوهر و لا عرض و لا حد له و لا ضد له و لا ند له و لا مثل له .

اللغة : (الآلات) الأدوات (جوهر) جوهر الشيء ذاته و حقيقته و هو في الفلسفة ما قام بنفسه و يقابله العرض و هو ما قام بغيره (ضد) ضد الشيء ما يقابله و يناقضه (ند) الند هو المكافئ و النظير .

الشرح : و الله تعالى يتكلم لا ككلام البشر بل كلامه على الكيفية اللائقة به سبحانه ، و يسمع لا كسمع البشر ، بل على ما يليق به عز وجل و أما قوله : " و الله تعالى يتكلم بلا آلة و لا حروف ، و الحروف مخلوقة " .

فهو من بدع المتكلمين الذين يقولون بخلق القرآن و ليس هذا من كلام أبي حنيفة رحمه الله قطعا لأن بدعة القول بخلق حروف القرآن مبنية على بدعة القول بالكلام النفسي ، و القول ببدعة الكلام النفسي لم يكن في زمن أبي حنيفة المتوفى سنة (١٥٠ هـ) بل كان في عهد ابن كلاب (٢٤١ هـ) ، ثم من عقيدة أهل السنة و الجماعة أن القرآن بحروفه هو كلام الله تكلم بحروفه و بصوته هو ، فكما أن كلامه ليس ككلام خلقه فكذلك صوته ليس كصوت خلقه ، و لا يكون الكلام إلا بحرف و صوت و أما قوله {بلا جسم و لا جوهر و لا عرض} فهذه من ألفاظ المتكلمين و ليست من كلام أبي حنيفة و هي ألفاظ مجملة لم يرد نفيها و لا إثباتها فالصواب السكوت عنها .

الخلاصة :

أن الله تعالى يتكلم وقتما يشاء و كيفما يشاء ، بلا كيفية ، كلامه تعالى لا يشبه كلام غيره ، و هو يتكلم بصوت و حرف ، و كلامه غير مخلوق .

المناقشة :

س١ – هل هناك كيفية معينة لكلام الله تعالى ؟

س٢ – هل كلامه تعالى بصوت و حرف أم لا ؟

س٣ – ما حكم من شبه كلام الله بكلام المخلوقين ؟

القول في الصفات

و له يد ووجه و نفس كما ذكره الله تعالى في القرآن ، فما ذكره الله تعالى في القـرآن من ذكر الوجه و اليد و النفس ، فهو له صفات بلا كيف ، و لا يقال إن يده قدرتـه أو نعمته لأن فيه إبطال الصفة ، و هو قول أهل القدر و الاعتزال ، و لكـــن يـــده صفته بلا كيف ، و غضبه و رضاه صفتان من صفات الله تعالى بلا كيف .

اللغة : (إبطال) نقض و نفي .

الشرح : و الله تعالى قد أثبت لنفسه في القرآن صفة اليد ، كما قـال : { **يد الله فوق أيديهم** } [1] و صفة الوجه ، كما قال : { **هالك إلا وجهه** } [2] و صفة النفس ، كمـا قال { **و يحذركم الله نفسه** } [3] فكل هذه الصفات قد ثبتت لله تعالى بلا كيف ، فـإن الله عز وجل قد أثبت لنفسه الصفة ، فوجب علينا أن نثبتها له سـبحانه و تعـالى و لم يذكر لنا الكيفية ، فوجب علينا أن نسكت عنها إذ هي غيب لا يعلمه إلا الله تعـلى ، و قد ضلت طوائف من الخلق فتأولوا صفات الله تعالى بما يخرجها عن حقيقتها فقـالوا إن اليد هي القدرة ، أو هي النعمة و الإحسان ، و قد أنكر أبو حنيفة رحمه الله ذلـك ، و بين أن في هذا إبطالا للصفة ، و أن هذا هو قول القدرية المعتزلة و بين أن صفـة اليـد صفة حقيقية لله تعالى بلا كيف أي بلا كيفية معلومة .

و بين أن الغضب و الرضا كذلك صفتان من صفاته تعالى بلا كيف ، قال تعـالى مثبتا صفة الغضب { **و غضب الله عليه و لعنه و أعد له عذابا عظيما** } [4] و قال مثبتـا صفة الرضا : { **رضي الله عنهم و رضوا عنه** } [5] و هذا النص في منهج أبي حنيفـة و مذهبه في الصفات واضح جلي و هو يشتمل على :

---

[1] سورة الفتح الآية (١٠)

[2] سورة القصص الآية (٨٨)

[3] سورة آل عمران (٢٨)

[4] سورة النساء الآية (٩٣)

[5] سورة البينة الآية (٨)

- أن كل ما ورد في الكتاب و السنة من صفات الله و أسمائه يجب إثباته بلا تشبيه و لا تعطيل .
- لا يجوز تأويل صفة بصفة أخرى .
- من أول صفة بصفة أخرى فقد حرف و عطل .

الخلاصة :

صفات الله تعالى تقبل و تمرر على ظاهرها دون تأويل بما يخرجها عن حقيقتها ، و دون تعطيل لها و دون تكييف لها بكيفية معينة .

المناقشة :

س١ – ما هو منهج أهل السنة في صفات الرب عز وجل ؟

س٢ – ما هي أهم الفرق المنحرفة في باب الأسماء و الصفات ؟

س٣ – ما حكم من أول اليد بالقدرة و الغضب بالعقاب و غير ذلك ؟

القول في القدر

خلق الله تعالى الأشياء لا من شيء ، و كان الله تعالى عالما في الأزل بالأشياء قبل كونها و هو الذي قدر الأشياء و قضاها ، و لا يكون في الدنيا و لا في الآخرة شيء إلا بمشيئته و علمه و قضائه و قدره ، و كتبه في اللوح المحفوظ ، و لكن كتبه بالوصف لا بالحكم ، و القضاء و القدر و المشيئة صفاته في الأزل بلا كيف ، يعلم الله تعالى المعدوم في حال عدمه معدوما و يعلم أنه كيف يكون إذا أوجده ، و يعلم الله الموجود في حال وجوده موجودا و يعلم أنه كيف فناؤه ، و يعلم الله القائم في حال قيامه قائما و إذا قعد فقد علمه قاعدا في حال قعوده من غير أن يتغير علمه أو يحدث له علم و لكن التغير و الاختلاف يحدث عند المخلوقين .

اللغة : (كتبه) كتابته (المعدوم) الشيء غير الكائن .

الشرح : لقد خلق الله تعالى الأشياء من عدم ، لا من شيء ، و الله تعالى يخلق ما يشاء من لا شيء و لا يفتقر إلى شيء ، و علمه تعالى بالأشياء علم أزلي قديم ، قبل أن تكون هذه الأشياء و قد سبق الكلام عن العلم الأزلي ، و قد قدر سبحانه الأشياء و قضاها و ذلك بأنه تعالى علمه ثم كتبها ثم أرادها فأوجدها و خلقها كما سبق بيانه ، و كل شيء كائن أو معدوم إنما هو بقضاء الله و قدره ، و لا يكون شيء في الدنيا أو في الآخرة إلا بمشيئته تعالى و علمه ، و بقضائه و قدره ، فهو تعالى قدر هذه الأشياء و قضاها ، و شاء أن تحصل على الكيفية التي علمها ، و كتبها في اللوح المحفوظ ، و هو سبحانه لم يكتب الأشياء بالحكم فقط أي لم يكتب مثلا (ليكن زيد مؤمنا) فإن هذا قد يتوهم منه الجبر ، إذ أن كل ما حكم الله به فهو كائن لا ريب ، قوله : " كتبه بالوصف لا بالحكم " فيحتمل و الله أعلم أن تكون هذه العبارة منحولة و ليست من كلامه رحمه الله ، لأن فيها نفيا لمرتبة من مراتب الإيمان بالقدر ، و هي مرتبة الخلق .

و القضاء و القدر و المشيئة كلها صفات أزلية بلا كيف ، و قد علم الله تعالى الأشياء المعدومة – أي غير الكائنة – علمها و هي معدومة غير كائنة ، كيف هي ؟

وعلم أن لو أوجدها على أي كيفية ستكون وعلم سبحانه الموجودات في حال كونها موجودة كيف هي ؟ ويعلم تعالى كيف يفنى كل شئ عندما يقدر فناءه، وهو تعالى يعلم القائم حال كونه قائما كيف هو ؟ ولو أن هذا القائم قعد لعلمه الله تعالى كيف يكون قاعدا حال كونه قاعدا و من قبل أن يقعد ، كل ذلك من غير أن يتغير علمه سبحانه لأنه علم أزلي ، و من غير أن يحدث له علم بعد أن لم يكن ، فعلمه تعالى قبل كل شيء غير مخلوق و إنما يكون التغير و الإختلاف في المخلوقين ، لا في الخالق و لا في صفاته ،و يحتمل أن يكون قدر كبير من هذه العبارات من وضع المتكلمين و ذلك تنزيها لأبي حنيفة من أن يستعمل كل هذه الاصطلاحات التي لم تكن على عهد السلف.

الخلاصة :

خلق الله الأشياء من عدم ، و لا يكون شيء في هذا الكون إلا بإذنه و خلقه .

المناقشة :

س١ – مم خلق الله الأشياء ؟

س٢ – هل يكون شيء بغير إذن الله تعالى ؟

س٣ – هل يتغير علم الله تعالى ؟

ما فطر الله عليه الناس

خلق الله تعالى الخلق سليما من الكفر و الإيمان ثم خاطبهم و أمرهم و نهاهم ، فكفر من كفر بفعله و إنكاره و جحوده الحق بخذلان الله تعالى إياه ، و آمن من آمن بفعله و إقراره و تصديقه ، بتوفيق الله تعالى إياه و نصرته له ، أخرج ذرية آدم من صلبه فجعلهم عقلاء فخاطبهم ، و أمرهم بالإيمان و نهاهم عن الكفر فأقروا له بالربوبية ، فكان ذلك منهم إيمانا فهم يولدون على تلك الفطرة و من كفر بعد ذلك فقد بدل و غير ، و من آمن و صدق فقد ثبت عليه و داوم .

اللغة : (سليما) خاليا (الخذلان) نزع التوفيق و الحرمان منه .

الشرح : قول الشيخ بأن الله خلق الخلق سليما من الكفر و الإيمان فيه نظر ، فإن الله تعالى خلق الناس على الفطرة و على الإقرار بالميثاق الأول ، و فطرهم على الإقرار بتوحيده ، و الشعور بأنه تعالى المنفرد بالخلق و الملك و الرزق و التدبير ، و غير ذلك ، ثم بعد أن فطرهم على ذلك خاطبهم الله تعالى على ألسنة رسله ، و أمرهم بالإيمان و الطاعات و نهاهم عن الكفر و المنكرات فكفر منهم من كفر ، بفعله الاختياري ، كما قال تعالى : { فاستحبوا العمى على الهدى } [1] و بإنكاره و جحوده الحق و كفره بدعوة الرسل ، و كان ذلك من خذلان الله لهم ، حيث حرمهم من التوفيق فاحتوشتهم الشياطين ، و اجتالتهم عن دينهم ، و كل ذلك منهم بقدر الله تعالى و قضائه و مشيئته

و منهم من آمن باختياره بفعله و إقراره و تصديقه ، و كان ذلك منه بتوفيق الله تعالى له حيث لم يخذله و لم يدعه للشيطان ، و نصره على نفسه و هواه و شيطانه ، و من آمن و من كفر كلهم لم يخرجوا عن مشيئة الله تعالى كما قال عز وجل { و ما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين } [2] .

---

[1] سورة فصلت الآية (١٧)

[2] سورة التكوير الآية (٢٩)

و قد أخرج الله ذرية آدم من صلبه عقلاء حين خلقه ، و خاطبهم و أمرهم بالإيمان به و توحيده ، و نهاهم أن يشركوا به ، فأقروا له بالربوبية كما قال تعالى :

{ و إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا }[1] .

فكان هذا الإقرار منهم – و هو الميثاق الأول – إيمانا ، فولدوا على هذه الفطرة فمنهم من بدل بعد ذلك و غير بالكفر و منهم من استجاب لدعوة الرسل و آمن بالله فثبت على الميثاق الأول ، و قد جاء في الحديث : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه "[2] .

و كل شيء بقدر الله و مشيئته .

---

[1] سورة الأعراف الآية (١٧٢)

[2] البخاري (٣/٢٩٠ /١٣٨٥) في الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين ، و مسلم (٤/٢٠٤٧/٢٦٥٨) في القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، كلاهما من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعا .

و لم يجبر أحدا من خلقه على الكفر و لا على الإيمان ، و لا خلقه * مؤمنا و لا كافرا و لكن خلقهم أشخاصا ، و الإيمان و الكفر فعل العباد ، و يعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافرا، فإذا آمن بعد ذلك علمه مؤمنا في حال إيمانه و أحبه من غير أن يتغير علمه و صفته ،و جميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة ، و الله تعالى ، خالقها و هي كلها بمشيئته و علمه و قضائه و قدره .

اللغة : (يجبر) يكره .

الشرح : لم يكره الله تعالى أحدا من الخلق على الكفر و لا على الإيمان ، و إنما خلقهم على الفطرة كما قال تعالى { **فطرت الله التي فطر الناس عليها** } [1] و في الحديث " إني خلقت عبادي حنفاء كلهم " [2] . و لا تعارض بين كون الإيمان و الكفر فعلا للعباد و كسبا لهم ، و بين كون ذلك كله مخلوقا لله تعالى مقدورا له ، و علمه تعالى شامل لكل شيء ، و هو يعلم الكافر حال كفره ،و يعلمه كيف يكون إيمانه حتى قبل أن يؤمن و ذلك كله بعلمه تعالى و مشيئته ، و بعض هذه العبارات الواردة يحتمل ألا تكون من كلام الإمام رحمه الله ، و ذلك لتطرقها إلى موضوعات لم يكن السلف يتكلمون فيها بهذا التفصيل في زمانه رحمه الله تعالى .و كل شيء يحدث فالله تعالى يعلمه من غير أن يتغير علمه ، و علمه أزلي ، يعلم ما كان و ما لم يكن لو كان كيف يكون .

الخلاصة :

لم يكره الله أحدا من خلقه على الإيمان و لا على الكفر ، و لكن خلقهم على الفطرة ، و يعلم ما كان و ما يكون من غير أن يتغير علمه سبحانه و تعالى .

---

* في الأصل (خلقهم)

[1] سورة الروم الآية (٣٠)

[2] أخرجه مسلم ٢١٩٧/٤ ح ٢٨٦٥ في الجنة و صفة نعيمها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة و أهل النار من حديث مطرف بن عبد الله عن عياض بن حمار مرفوعا

المناقشة :

س١ – هل أجبر الله أحدا من خلقه على الإيمان أو على الكفر ؟

س٢ – كيف خلق الله الخلق ؟ على الإيمان أم على الكفر ؟

س٣ – هل يعلم الله تعالى الشيء وقت كونه أم قبل ذلك ؟

الطاعات محبوبة لله

و المعاصي مقدورة غير محبوبة .

و الطاعات كلها كانت واجبة بأمر الله تعالى و بمحبته و برضائه و علمه و مشيئته و قضائه و تقديره ، و المعاصي كلها بعلمه و قضائه و تقديره و مشيئته لا بمحبته و لا برضائه و لا بأمره .

اللغة :

الشرح : إن الطاعات من الأقوال و الأعمال إنما هي واجبة بأمر الله تعالى الشرعي ، و بمحبته لهذه الطاعات و رضائه تعالى ، كما قال عز وجل : { و إن تشكروا يرضه الله }[1] و هذه الطاعات كذلك بعلمه تعالى و مشيئته و قضائه و قدره ، و ذلك لأن الله تعالى علم أعمال العباد كلها ، و شاءها و قضاها و قدرها ، و لولا أن الله تعالى قدرها و قضاها ما وجدت ، فإنه لا يكون شيء في هذا الكون إلا بمشيئته تعالى و قدره و قد قال تعالى : { و الله خلقكم و ما تعملون }[2] و قال تعالى : { و ما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين }[3] و قال تعالى : { كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره * و ما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة }[4] و ما كان من معاص في هذا الكون فإنما هي كذلك بعلم الله تعالى : { إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض و لا في السماء }[5] و الله تعالى قد قضاها و قدرها و شاء أن تقع لعموم النصوص السابقة ، و

---

[1] سورة الزمر الآية (٧)

[2] سورة الصافات الآية (٩٦)

[3] سورة التكوير الآية (٢٩)

[4] سورة المدثر الآيات (٥٤ : ٥٦)

[5] سورة آل عمران الآية (٥)

إن كان الله تعالى لا يحبها و لا يرضاها ، كما قال عز وجـــل { **إن تكفروا فإن الله غني عنكم و لا يرضى لعباده الكفر** } [1] و لم يأمر سبحانه و تعالى بهذه المعاصي أمراً شـــرعياً كما قال تعالى : { **و إذا فعلوا فحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا و الله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون** } [2].

و هكذا تبين أن الطاعات قد أرادها الله شرعاً و رضيها و أمر بها أمراً شـــرعياً ، كما إنها إن وقعت فبإرادة الله الكونية ، و أما المعاصي فهي إن وقعت فبإرادة الله الكونية و ليس بإرادته الشرعية و لا بأمره الشرعي و لا برضاه و لا بمحبته ، فافهم هذه المســألة تصل إلى الحق فيها .

[1] سورة الزمر الآية (٧)

[2] سورة الأعراف الآية (٢٨)

القول في عصمة الأنبياء

و الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ، كلهم منزهون عن الصغائر و الكبائر و الكفر و القبائح و قد كانت منهم زلات و خطايا .

اللغة : (منزهون) معصومون (زلات) جمع زلة و هي الخطأ .

الشرح : اختلف الناس في مسألة عصمة الأنبياء ، و هل يمكن أن تقع منهم الذنوب أم لا ؟ و قد نقل ابن تيمية مذهب السلف في ذلك فقال : " و الجمهور الذين يقولون بجواز الصغائر عليهم يقولون إنهم معصومون من الإقرار عليها ، و حينئذ فما وصفوهم إلا بما فيه كمالهم ، فإن الأعمال بالخواتيم مع أن القرآن و الحديث و إجماع السلف معهم " [1] .

و قال : " و القول الذي عليه جمهور الناس و هو الموافق للآثار المنقولة عن السلف إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقا و الرد على من يقول إنه يجوز إقرارهم عليها " .[2]

و قال : " القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر ، هو قول أكثر علماء الإسلام و جميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام .. بل هو لم ينقل عن السلف و الأئمة و الصحابة و التابعين إلا ما يوافق هذا القول " .[3]

و آثار الكتاب و السنة توافق هذا القول ، فقد يصدر الزلل من نبي دون تعمد الوقوع فيه فيعاتبه ربه و ينبهه و يرجع ، فهو لا يتعمد ارتكابه ، و ربه لا يقره عليه فهذا هو الصواب في المسألة ، و أما الكفر و الكبائر فهم معصومون عنها مطلقا ، و مما يدل على جواز وقوع الزلل منهم قوله تعالى : { و عصى آدم ربه فغوى } [4] ، و قوله تعالى عن يونس : { لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين } [5] .

---

[1] منهاج السنة (٢٢٧/١)

[2] مجموع الفتاوى (٢٩٢/١٠ : ٢٩٣)

[3] مجموع الفتاوى (٤ / ٣٢٩)

[4] سورة طه الآية (١١٦)

[5] سورة الأنبياء الآية (٨٧)

و قول النبي ﷺ : " اللهم اغفر لي خطيئتي و جهلي و إسرافي في أمري ... " [1] و غير ذلك .

الخلاصة :

الأنبياء معصومون من الكفر و الكبائر مطلقا ، و من تعمد الصغائر ، و إذا وقعوا فيها فإنهم لا يقرون عليها .

المناقشة :

س١ – هل يمكن صدور الكفر و الكبائر من الأنبياء ؟

س٢ – ما حكم صدور الصغائر من الأنبياء ؟

س٣ – هل يمكن أن يقر الأنبياء على الصغائر ؟

---

[1] مسلم (٢٠٨٧/٤) ح ٢٧١٩ في الذكر و الدعاء باب التعوذ من شر ما عمل من حديث أبي بردة عن أبي موسى مرفوعا

القول في الرسول ﷺ

و محمد عليه الصلاة و السلام حبيبه و عبده و رسوله و نبيه ، و صفيه و نقيه ، و لم يعبد الصنم و لم يشرك بالله تعالى طرفة عين قط ، و لم يرتكب صغيرة و لا كبيرة قط

اللغة : (صفيه) من اصطفاه و اختاره (نقيه) من نقاه من كل عيب .

الشرح : إن محمدا ﷺ و هو خليل الله تعالى ، كما قال : " إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا " [1] و الخلة هي أعلى درجات المحبة ، و هو عبد الله تعالى كما قال عز وجل : {و إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة }[2]و هو صفيه تعالى اصطفاه على الناس جميعا ، و نقيه الذي نقاه ربه من العيوب ، لم يعبد الصنم قط حتى قبل البعثة ، و لم يشرك بالله تعالى طرفة عين أبدا ، و لم يصدر ذلك منه بحال ، و لم تصدر منه كبيرة قط،و لم يرتكب صغيرة قط عمدا أو بعلم أو بعد تنبيه على ذلك ، و قد قال عز وجل : { ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر و يتم نعمته عليك و يهديك صراطا مستقيما } [3] .

و هذا بناء على ما سبق تقريره من أن الأنبياء معصومون من الكبائر و من تعمد الصغائر أو الإقرار عليها ، و كذلك هم منزهون عن الكذب و الرذائل و القبائح و ما يشبهها ، و نبينا ﷺ قد بلغ الغاية في ذلك كله .

[1] مسلم (١ / ٣٧٧) ح (٥٣٢) في المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور من حديث عمرو بن مرة عن أبي الحارث النجراني عن جندب مرفوعا .

[2] سورة البقرة الآية (٢٤)

[3] سورة الفتح الآية (٣)

الخلاصة :

أن النبي ﷺ خليل الرحمن و صفيه ، و لم يشرك به طرفة عين ، و لم يعمل كبيرة أو يتعمد صغيرة أبدا .

المناقشة :

س١ – اذكر منـــزلة النبي ﷺ من ربه .

س٢ – هل صدرت المعاصي من النبي ﷺ ؟

المفاضلة بين الصحابة

و أفضل الناس بعد النبيين عليهم الصلاة و السلام أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب الفاروق ثم عثمان بن عفان ذو النورين ثم علي بن أبي طالب المرتضى رضوان الله عليهم أجمعين .

اللغة :

الشرح : أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاةو و السلام أصحاب النبي محمدﷺ و خيرهم خليفة رسول الله و أول الخلفاء الراشدين ، و أول الرجال إسلاما و أعظمهم إيمانا و تصديقا ، و رفيق رسول الله ﷺ في هجرته و أحب الناس إليه ، و قد قالﷺ : " لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا " [1] و من بعده عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنه ، الخليفة الثاني الراشد الشهيد ، خير الأمة بعد أبي بكر الصديق ، الذي فتح الله به الفتوح ، و مصر به الأمصار، و قال في حقه النبيﷺ : " لقد كان في ما قبلكم من الأمم ناس محدثون ، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر " [2] . و قوله (محدثون) أي ملهمون .

و بعده في الفضل عثمان بن عفان ذو النورين ، زوج ابنتي رسول الله ﷺ و ثالث الخلفاء الراشدين ، الشهيد المقتول ظلما ، الذي توفي رسول الله ﷺ و هو راض عنه و قد قال ﷺ في حقه : " ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة " [3] ، يعني عثمان و يليه في الفضل رابع الخلفاء الراشدين الليث المحارب علي بن أبي طالب رضي الله عنه زوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، العدل المرتضى ، أبو الحسن و الحسين سيدي

---

[1] أخرجه البخاري (٧ / ٢١) ح ٣٦٥٦ في فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا من حديث عكرمة عن ابن عباس مرفوعا ، و أخرجه مسلم (٤ / ١٨٥٥) ح ٢٣٨٢ في فضائل الصحابة من حديث ابن مسعود مرفوعا .

[2] أخرجه البخاري (٧ / ٥٢) ح ٣٦٨٩ في فضائل الصحابة باب مناقب عمر من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعا و مسلم (٤ / ١٨٦٤) ح ٢٣٩٨ من حديث أبي سلمة عن عائشة مرفوعا .

[3] مسلم (٤ / ١٨٦٦ / ٢٤٠١) في فضائل الصحابة باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه من حديث عطاء و سليمان ابني يسار و أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة مرفوعا .

شباب أهل الجنة الشهيد كذلك و الذي قال في حقه ﷺ : " ألا يرضيك أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي نبي " [1] .

و هؤلاء الأربعة الخلفاء ممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة صراحة ، فنترضى عنهم أجمعين و نعرف لهم قدرهم و فضلهم ، و لا نذكرهم إلا بالخير .

---

[1] البخاري (٧ / ٨٨ / ح ٣٧٠٦) في فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب ، من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه مرفوعا ، مسلم (٤ / ١٨٧٠ / ح ٢٤٠٤) في فضائل الصحابة باب من فضائل علي عن عامر بن سعد عن أبيه و عن مصعب بن سعد عن أبيه .

عابدين ثابتين على الحق ومع الحق ، نتولاهم جميعاً ولا نذكــــر أحــداً مــن أصحاب رسول الله إلا بخير ولا نكفر مسلماً بذنب من الذنوب وإن كانت كبيرة إذا لم يستحلها ولا نزيل عنه اسم الإيمان ، ونسميه مؤمناً حقيقة ، ويجوز أن يكون مؤمنـاً فاسقاً غير كافر.

اللغة : (نتولاهم) نحبهم ونواليهم وننصرهم (فاسقاً) خارجاً عن طاعة الله .

الشرح : وكانوا رحمهم الله عابدين لله عزوجل ثابتين على الحق لا يتزحزحون ، وكانوا مع الحق دائماً ملازمين له مبتعدين عن الباطل ، فكلهم نتولاهم ، محبة ونصـــراً وغير ذلك ، وكل أصحاب رسول الله ﷺ نتولاهم ولا نذكرهم إلا بالخير ، ونبغض من يقع فيهم ، وقد قال النبي ﷺ : " لا تسبوا اصحابي ..." [1] وقال الطحاوي رحمـه الله في عقيدته :" ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ، ونبغض مـــن يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ولا نذكرهم إلا بالخير ، وحبهم دين وإيمان وإحســـان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان "[2] .

وأهل السنة لا يكفرون المسلم بالذنوب كما تفعل الخوارج ، حتى لو ارتكـــب الكبائر ،ما دام غير مستحل لها ، فأما إذا استحلها فإنه يكفر بذلك الاستحلال، إلا إذا كان جاهلاً ،فيعرف ويعلم فإن أصر بـعد البيان كفر بذلك ، وهم لا يزيلون عنه اسـم الإيمان بذلك ، فإن الخوارج نقلوه إلى الكفر ، والمعتزلة جعلوه في منـــزلة بين المنــزلتين وكل منهما رفعوا عنه اسم الإيمان . أما أهل السنة فيسمونه مومناً حقيقةً ، وإن كــــان إيمانه ناقصاً بسبب ذنوبه ، فإن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي حقيقةً .

---

[1] البخاري (٧/٢٥/ح٣٦٧٣) في فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً . ومسلم (٤/١٩٦٧/ح٢٥٤١) في فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة كلاهما من حديث أبي صالح عن أبي سعيد مرفوعاً .

[2] انظر شرح العقيدة الطحاوية (٤٦٤) .

ومن المعلوم أن المؤمن قد يفسق بإرتكابه للكبيرة مثلاً من غير ان يخرج بذلك من الإسلام ، كما قال تعالى : { والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فإجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهدة أبداً وأولئك هم الفاسقون }[1] فحكم بفسقهم و لم يكفرهم بذلك فتنبه لهذه المسألة فإنها هامة جداً ، وقد ضلت فيها طوائف، نعوذ بالله من الخذلان

الخلاصة :

أفضل الصحابة أبو بكر . وعمر وعثمان وعلي، ونحب جميع الصحابة ونذكرهم بالخير ولا نكفر مسلماً بذنب ما لم يستحله .

المناقشة :

س١ــ من هم أفضل الصحابة بعد رسول الله ﷺ ؟

س٢ــ هل يجوز ذكر الصحابة بغير الخير ؟

س٣ــ هل يكفر المسلم بالمعصية ، وما حكمه إذا استحلها ؟

[1] سورة النور الآية (٤).

ذكر بعض من عقائد أهل السنة

والمسح على الخفين سنة ، والتراويح في ليالي شهر رمضان سنة ، والصلاة خلف كل بر وفاجر جائزة ، ولا نقول : إن المؤمن لا تضره الذنوب . ولا نقول : إنه لا يدخل النار . ولا نقول : إنه يخلد فيها .

اللغة :

الشرح : والمسح على الخفين سنة ثابتة عن النبي ﷺ ، قريبة من حد التواتر ، وهي ثابتة بالكتاب عند من قرأ قوله تعالى{ وأرجلكم إلى الكعبين }[1]بكسر اللام ، وثابتة من حديث النبي ﷺلما أراد المغيرة نزع خفيه فقال له :"دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين "[2] وغير ذلك . وأهل السنة يعدون المسح على الخفين من أصولهم ، حيث خالفت فيه الطوائف من المبتدعة . والتراويح في ليالي رمضان سنة ، ثابتة من فعلهﷺ وأصحابه ، ومن قوله ايضاً : " من قام رمضان إيماناً وإحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"[3].

وتجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة ، إلا إن كان مبتدعاً ببدعة مكفرة ، أو داعية إلى بدعة ضلالة ، فإن لم يوجد إمام سنة ، جازت الصلاة خلف المبتدع إلا صاحب البدعة المكفرة ، قال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته :" ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة ، وعلى من مات منهم "[4] .

وأهل السنة لا يقولون كما تقول المرجئة :إن المؤمن لا يضره ذنب ،بل إن الذنوب تضر وتنقص الإيمان ، ويخشى على صاحبها من الكفر ، وهم يقولون : إن

---

[1] سورة المائدة الآية (٦) .

[2] البخاري (١/٣٧٠/ح٢٠٦) في الوضوء باب إذا دخل رجليه وهما طاهرتان . ومسلم (١/٢٤٠/ح٢٧٤) في الطهارة باب المسح على الخفين كلاهما من حديث عروة بن المغيرة عن أبيه مرفوعاً .

[3] البخاري (١/ ١١٤ح/٣٧) في الإيمان باب تطوع القيام من الإيمان ومسلم (١/٥٢٣/ح٧٥٩) في صلاة المسافرين باب الترغيب في قيام رمضان كلاهما من حديث حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة مرفوعاً .

[4] انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥٧ذ.

الإيمان ينقص بالمعاصي ، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله حيث لم يدخل الأعمال في مسمى الإيمان وقد قال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته : " ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله " [1] .

وكذلك أهل السنة يقولون: إن المؤمن قد يدخل النار إن غلبت ذنوبه على حسناته إلا أن يشاء الله تعالى غير ذلك ، وهذا لأنه نقص إيمانه بسبب المعصية ، هذا وإن كان معه أصل الإيمان ، وهو يعذب في النار على قدر ذنوبه ثم يخرج منها ويدخل الجنة ، وأما الخوارج فقد كفروه وصرحوا بخلوده في النار ــ أعني مرتكب الكبيرة من المؤمنين ــ والمعتزلة أخرجوه من الإيمان لكنهم لم يكفروه ، بل قالوا هو في منزلة بين المنزلتين ، وصرحوا بخلوده في النار كذلك .

---

[1] انظر نفس المصدر السابق (ص٢٩٠)

وإن كان فاسقا بعد أن يخرج من الدنيا مؤمنا ، ولا نقول : إن حسناتنا مقبولة وسيئاتنا مغفورة كقول المرجئة ، ولكن نقول من عمل حسنة بجميع شرائطها خالية عن العيوب المفسدة ، ولم يبطلها بالكفر والردة ، والأخلاق السيئة حتى خرج من الدنيا مؤمنا فإن الله تعالى لا يضيعها بل يقبلها منه ويثيبه عليها .

اللغة : (يبطلها) ينقصها ويضيع ثوابها .

الشرح : وأما أهل السنة فلا يقولون بخلوده في النار ، وإن فسق بإرتكاب الكبائر ، ما دام لم يرتفع عنه اسم الإيمان ، وكذلك أهل السنة لا يجزمون أن حسناتهم مقبولة وسيئاتهم مغفورة قطعا كقول المرجئة ، بل يرجون من الله قبول الحسنات ومغفرة الذنوب ، والمؤمن لا يأمن مكر الله تعالى،وفي الحديث :" ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات "[1] وأهل السنة يقولون : إن المؤمن إذا عمل الحسنة بجميع شروطها الشرعية ، وكانت خالية من العيوب التي تفسدها أو تحبطها كالرياء مثلا،و لم يبطلها بالكفر والردة لقوله تعالى :{ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة}[2] وكذلك لم يبطلها بالأخلاق السيئة، كما في مثل قوله تعالى :{لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى }[3] وغير ذلك من رذائل الصفات ومذموم الأخلاق ، فالمؤمن إذا

---

[1] الترمذي (٣٢٧/٥)ح٣١٧٥ في التفسير باب ومن سورة المؤمنون ، وأحمد (١٥٩/٦) والحاكم (٣٩٣/٢ :٣٩٤) وقال صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي . كلهم من حديث عبد الرحمن بن سعيد عن عائشة مرفوعا . وصححه الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٩٥/رقم١٦٢)) .

[2] سورة البقرة الآية ٢١٧) .

[3] سورة البقرة الآية (٢٦٤) .

عمل الحسنة بهذا الشكل ، وبهذه الصفات حتى يخرج من الدنيا مؤمناً إيماناً صحيحاً فإن من فضل الله وجوده أن يقبل من هذه الحسنة ولا يضيعها ويثيبه عليها ، وكما في الحديث : " من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل "[1] وهذا كله بناء على الأصل ، ولكن في نهاية المطاف فينبغي إرجاع الأمر لله وعدم الجزم بشيء .

[1] البخاري (٣/٣٢٦/ح١٤١٠) في الزكاة باب الصدقة من كسب طيب من حديث أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً .

وما كان من السيئات دون الشرك والكفر ولم يتب عنها صاحبها حتى مات مؤمناً فإنه مؤمنٌ في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه بالنار ، وإن شاء عفا عنه ولم يعذب بالنار أصلاً ، والرياء إذا وقع في عمل من الأعمال فإنه يبطل أجره ، وكذلك العجب

اللغة : ....

الشرح : ثم إن جميع السيئات التي يعملها الإنسان المؤمن دون الشرك بالله والكفر به إن مات المؤمن على غير توبه منها ، ولكنه مات و لم يرتفع عنه اسم الإيمان ، فإن أهل السنة يقولون : إنه تحت مشيئة الله تعالى ، فإن شاء الله عذبه بالنار ثم أخرجه منها بإيمانه ، وإن شاء عفا عنه و لم يعذبه بالنار أصلاً ، كما قال تعالى : { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء }[1] وفي الحديث " ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه "[2] . وهذا هو الحق لا ريب في هذا الباب .

ثم إن الرياء إذا دخل في العمل أبطل أجره ، بل قد يبطل العمل نفسه إن كان الباعث على فعله مجرد الرياء و كذلك مما يبطل أجر العمل العجب ، أن يعجب الإنسان بعمله ، فيدل به على الله ويرى أنه قد بلغ به أعلى منزل ، وأتى به على أحسن الوجوه فيمن به على الله تعالى وإنما حقيقة الأمر : {بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين }[3] وإنما يجب أن يرى الإنسان النقص في عمله وأن يسأل الله قبوله والعفو عن التقصير فيه .

---

[1] سورة النساء الآية (٤٨) .

[2] البخاري (٨١/ح١٨) في الإيمان باب ١١ من حديث أبي ادريس الخولاني عن عبادة بن الصامت مرفوعاً .

[3] سورة الحجرات الآية (١٧) .

الخلاصة :

يرى أهل السنة جواز المسح على الخفين ، وسنية تراوايح رمضان ، وجواز الصلاة خلف البر والفاجر ، ويجتنبون الإرجاء ، ويقولون : إن المذنب لا يكفر بالذنب ، لكنه تحت المشيئة ، ولا يقولون : إن المعاصي لا تضر .

المناقشة:

س١ــ ما حكم المسح على الخفين ، وصلاة التراويح في رمضان ؟

س٢ــ ما حكم الصلاة خلف الفاجر ؟

س٣ــ هل يضر مع الإيمان ذنب ؟

س٤ــ ما حكم المسلم العاصي ؟ وهل يقطع له بالنار ؟

آيات الأنبياء وكرامات الأولياء حق

والآيات ثابتة للأنبياء ، والكرامات للأولياء حق ، وأما التي تكون لأعدائه مثل ابليس وفرعون والدجال فيما روي الأخبار أنه كان ويكون لهم لا نسميها آيات ولا كرامات ، ولكن نسميها قضاء حاجاتهم ، وذلك لأن الله تعالى يقضي حاجات أعدائه استدراجا لهم وعقوبة لهم فيغترون به ويزدادون طغيانا وكفرا ، وكله جائز ممكن .

اللغة : (الآيات) العلامات (الكرامات) ما يكرمهم الله به من خوارق العادات.

الشرح : آيات الأنبياء والرسل ثابتة لا ريب ، وهي أمور خارقة يجريها لهم الله تعالى دليلا على صدقهم ، وذلك من جنس ناقة صالح {وهذه ناقة الله لكم آية }[1] ومن جنس نجاة ابراهيم من النار : { قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم }[2] وعصا موسى عليه السلام { وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون }[3] وغير ذلك من المعجزات الثابتة لهم ، برهانا من الله تعالى على صدقهم في دعوى النبوة ، وكذلك كرامات الأولياء حق ، والأصل في إثباتها قوله تعالى : { كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله }[4] فكل ما يجري للصالحين من خوارق العادات هو مما أكرمهم الله تعالى به ، وأما إذا وقع لبعض أعداء الله شيء من هذه الخوارق كإبليس وكفرعون لما القى سحرته العصى { وقالوا

---

[1] سورة الأعراف الآية (٧٣) .

[2] سورة الأنبياء الآية (٦٩) .

[3] سورة الاعراف الآية (١١٧) .

[4] سورة آل عمران الآية (٣٧) .

بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون }[1] فصارت عضيهم تبدو للناس كثعابين تسعى . والدجال لسرعة انتقاله في الأرض وإحيائه للمقتول وغير ذلك ، فكل هذه الأمور لا تسمى كرامات إذ ليسوا بأولياء وهم أعداء الله تعالى ، تسمى قضاء حاجات ، والله تعالى يقضي حاجاتهم ــ حاجات أعدائه ــ استدراجاً لهم ، وعقوبة لهم ، فيغترون بذلك ، ويتوهمون أنهم على حق ، فيزدادون من الطغيان والكفر حتى يحل بهم غضب الله :

{ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذتهم بغتة فإذا هم ملبسون }[2]، وكل هذه الأمور ــ أعني الآيات والكرامات وقضاء الحاجات ــ كلها ممكنة جائزة الحدوث من الله تعالى ، إذ هو المالك المتصرف في كل شيء،ولا يعجزه شيء سبحانه وتعالى .

الخلاصة :

آيات الأنبياء حق ثابت ، وكرامات الأولياء كذلك ، وما كان من خوارق لغير المؤمنين فهي استدراج لهم .

المناقشة :

س١ــ ما معنى آيات الأولياء ؟ مثل لها بثلاثة أمثلة ؟

س٢ــ هل كرامات الأنبياء حق ؟ وما الدليل ؟

س٣ــ ما حكم الخوارق التي تقع لغير المؤمنين ؟

---

[1] سورة الشعراء الآية (٤٤) .

[2] سورة الأنعام الآية (٤٤) .

رؤية الله في الآخرة

وكان الله تعالى خالقاً قبل ان يخلق ، ورازقاً قبل أن يرزق ، والله تعالى يرى في الآخرة ، ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية ، ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة .

اللغة : ....

الشرح : إن الله تعالى مستحق لاسم الخالق قبل أن يخلق الخلق ، وقد قال الطحاوي رحمه الله في عقيدته : " ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه ، و لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته ، وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً "[1] وقال أيضاً :" ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري "[2]. وهو سبحانه رازق كذلك مستحق لهذا الإسم قبل أن يرزق الخلق ، فأسماؤه وصفاته سبحانه قديمة .

والله عز وجل يرى في الآخرة ، يراه المؤمنون بأعين رؤوسهم رؤية حقيقية ، كما قال عز وجل : **{ وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة }**[3] ،وقال في حق الكفار : **{ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون }**[4] فلما اخبر أن الكافرين محجوبون عنه ، دل على أن المؤمنين غير محجوبين ، فدل على انهم يرونه ، وفي الحديث : " إنكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته "[5] وهي رؤية حقيقية ، لا نؤولها بما يخرجها عن حقيقتها وينفي معناها ، ولا نكيفها بكيفية معينة ، ولا نشبهها برؤيتنا

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية (ص٦٨)

[2] نفس المصدر السابق (ص٧٨)

[3] سورة القيامة الآيتان (٢٢:٢٣)

[4] سورة المطففين الآية (١٥) .

[5] البخاري (٥٥٤/٤٠/٢) في مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر من حديث قيس عن جرير مرفوعاً .

للمخلوقين ، ولا ننفيها كما نفتها الجهمية والمعتزلة وغيرهم وقوله " ولا يكـون بينـه وبين خلقه مسافة " لعله أن يكون مدسوساً على أبي حنيفة ، فهو من ألفاظ المتكلمـين ، ثم إنه توضيح لكيفية الرؤية ، التي نفى قبل ذلك أي تكييف لها ، وكيف يرى الإنسـان ما ليس بينه وبينه مسافة ؟ فتنبه لهذا .

الخلاصة :

صفات الله تعالى قديمة قبل أن يخلق الخلق ، والله تعالى يرى في الآخرة بالأبصـار حقيقة بلا كيفية .

المناقشة :

س١ـــ هل صفة الخلق والرزق قديمة أم محدثة ؟

س٢ـــ هل رؤية الله تعالى حقيقية يوم القيامة أم مجازية ؟

تعريف الإيمان

والإيمان هو الإقرار والتصديق ، وإيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن بها ، ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق ، والمؤمنون مستوون في الإيمان والتوحيد متفاضلون في الأعمال .

اللغة : (الإقرار) الإعتراف (اليقين) التصديق الجازم (مستوون)ومتماثلون (متفاضلون) متفاوتون .

الشرح : يبين الإمام أبو حنيفة رحمه الله في عقيدته في الإيمان ، وهي أن الإيمان عنده إقرار باللسان وتصديق بالقلب ، وأن إيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص وهذا منه ــ رحمه الله ــ خلاف مذهب السلف،فإن الإيمان عندهم تصديق وإقرار وعمل ويزيد وينقص قال النبي ﷺ :" أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان،وأن تؤدوا من المغنم الخمس"[1] وقال الله تعالى في حق زيادته ونقصانه{ويزداد الذين آمنوا إيماناً}[2]والأدلة لا تحصى ، فما ذكره رحمه الله مخالف لمذهب السلف،وقوله : " لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به ..." وهذا من ألفاظ المتكلمين المحدثة ، والسلف لم يتطرقوا لهذه الجزئيات إنما قالوا فقط :" يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية " ثم إن قوله بتساوي المؤمنين في الإيمان مما يعلم بطلانه ضرورة، فليس إيمان الملائكة والأنبياء كعامة المؤمنين ، وهذا مما ينبغي التنبيه له فتأمل .

الخلاصة :

الإيمان عندأهل السنة قول وعمل،ويزيدوينقص، والمؤمنون متفاضلون في الأعمال والإيمان .

المناقشة :

س١ــ عرف الإيمان عند أهل السنة ؟

س٢ــ هل يزيد الإيمان وينقص عندهم ؟ وما زيادته وما نقصانه .

---

[1] أخرجه البخاري (١٥٧/١) ح٥٣ في الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان ، ومسلم (٤٦/١) ح١٧ في الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم كلاهما من حديث أبي جمرة عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً .

[2] سورة المدثر الآية (٣١) .

س٣ـــ هل يتساوى المؤمنون في إيمانهم ؟

علاقة الإسلام والإيمان

والإسلام هو التسليم والإنقياد لأوامر الله تعالى ، فمن طريق اللغة فرق بين الإسلام والإيمان ولكن لا يكون إيمان بلا إسلام ، ولا يوجد اسلام بلا إيمان ، وهما كالظهر مع البطن ، والدين اسم واقع على الإيمان والإسلام والشرائع كلها .

اللغة : (الانقياد) الإذعان والاتباع والطاعة .

الشرح : إن معنى الإسلام التسليم لله تعالى ، والإنقياد لأمره عز وجل ، وعدم رده مهما كان ولكي يكون الإسلام على أحسن وجه لا بد أن ينساق المسلم لأمر الله ورسوله دون أي تردد ، فمن جهة اللغة، هناك فرق بين الإسلام والإيمان ، لأن أصل وضعهما من جهة اللغة مختلف ولكن في الحقيقة فإنهما متلازمان كالظهر مع البطن ، وإذا افترقا دل كل منهما على ما يدل عليه الآخر ، فصار كل منهما عبارة عن تصديق وإقرار وعمل ، ولكن إذا ذكرا مجتمعين اختص الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمان بالأعمال الباطنة ، وهذا معنى قول من قال : " إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا " وهذا هو التحقيق في المسألة ، وأما اسم الدين فهو يشمل الإسلام والإيمان وجميع شرائع الإسلام ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حق جبريل بعد أن ذكر الإسلام والإيمان والإحسان قال : " أتاكم يعلمكم دينكم " [1] فسمى كل هذه الأشياء ديناً ، فدل على أن اسم الدين يشمل الشرائع كلها .

الخلاصة :

معنى الإسلام التسليم والإنقياد ، ومن جهة اللغة يختلف عن الإيمان ، لكنهما إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا إجتمعا ، والدين اسم يشمل الإسلام والإيمان وجميع الشرائع

المناقشة :

س١ــ ما معنى الإسلام ؟

س٢ــ ما العلاقة بين الإسلام والإيمان ؟

س٣ــ عرف الدين وهل يشمل الشرائع أم لا ؟

---

[1] أخرجه مسلم (٣٦/١)ح١ في أول الإيمان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً .

والإيمان والإحسان قال : " أتاكم يعلمكم دينكم " [1] فسمى كل هذه الأشياء ديناً ، فدل على أن اسم الدين يشمل الشرائع كلها .

الخلاصة :

معنى الإسلام التسليم والإنقياد ، ومن جهة اللغة يختلف عن الإيمان ، لكنهما إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا إجتمعا ، والدين اسم يشمل الإسلام والإيمان وجميع الشرائع

المناقشة :

س١ـ ما معنى الإسلام ؟

س٢ـ ما العلاقة بين الإسلام والإيمان ؟

س٣ـ عرف الدين وهل يشمل الشرائع أم لا ؟

[1] أخرجه مسلم (٣٦/١)ح١ في أول الإيمان من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً .

معرفتنا بالله تعالى

نعرف الله تعالى حق معرفته كما وصف نفسه في كتابه بجميع صفاته ، وليس يقدر أحد أن يعبد الله حق عبادته كما هو أهل له ، ولكنه يعبده بأمره كما أمره بكتابه وسنة رسوله ، ويستوي المؤمنون كلهم في المعرفة واليقين والتوكل والمحبة والرضاء والخوف والرجاء والإيمان في ذلك،ويتفاوتون فيما دون الإيمان في ذلك كله

اللغة : (يقدر) يستطيع .

الشرح : إن المؤمن يعرف الله تعالى حق المعرفة ، بأسمائه وصفاته ، كما وصف نفسه في كتابه بجميع صفاته ، إذ أن المؤمن يصف الله تعالى بما وصف به نفسه ، وليس معنى ذلك أن المؤمن يعبد الله تعالى حق عبادته ، كما هو أهل لذلك ، فإن حق الله تعالى عظيم لا يستطيع مخلوق أن يؤديه كما ينبغي ، بل إن الإنسان لو عبد الله سبعين عاماً لا يفتر ، ما استطاع أن يؤدي شكر نعمة واحدة كنعمة البصر مثلاً .

ولهذا قال النبي ﷺ " واعلموا أنه لن يدخل أحد منكم الجنة عمله "[1] وإنما يعبد المؤمن ربه كما أمره الله تعالى بذلك في كتابه وفي سنة رسول الله ﷺ.

والمؤمنون كلهم ــ كما يرى أبو حنيفة ــ متساوون في المعرفة واليقين ، كما أنهم متساوون أيضاً في أعمال الإيمان : كالتوكل والمحبة وغيرها ، ويتفاوتون فيما دون ذلك ، وهذا باطل لا شك ، فالمؤمنون متفاوتون في كل ذلك ، وكيف يكون يقين أي منا كيقين النبي (ص) وتوكله كتوكله ، فهذا كلام واضح البطلان ، ولكن المؤمنين متفاوتون في الإيمان وفي الأعمال لاشك في ذلك .

---

[1] . أخرجه مسلم (٢١٦٩/٤) ح ٢٨١٦ في صفات المنافقين باب لن يدخل أحد الجنة بعمله من حديث بشر بن سعيد عن أبي هريرة ، ومن حديث ابن سيرين عن أبي هريرة .

الخلاصة :

لا يستطيع أحد أن يؤدي حق الله في العبادة ، والمؤمنون متفـــاوتون في الإيمـــان والأعمال ، متفاضلون في كل ذلك .

المناقشة :

س١ ـــ هل يؤدي أحد حق الله تعالى عليه كما ينبغي ؟

س٢ـــ هل يتفاوت المؤمنون في الإيمان والأعمال أم يتساوون ؟

شفاعة الأنبياء والميزان والحوض

والله تعالى متفضل على عباده ، عادل قد يعطي من الثـــواب أضعـــاف مـــا يستوجبه العبد تفضلاً منه ، وقد يعاقب على الذنب عدلاً منه ، وقد يعفو فضلاً منه ، وشفاعة الأنبياء عليهم السلام حق ، وشفاعة النبي ﷺ للمؤمنين المذنبـــين ولأهـــل الكبائر منهم المستوجبين العقاب حق ثابت ، ووزن الأعمال بالميزان يوم القيامة حـــق وحوض النبي عليه الصلاة والسلام حق .

اللغة : (متفضل على عباده) محسن إليهم ، (أضعاف) جمع ضعف وهو مثـــل الشيء معه ، (الشفاعة) طلب قضاء حق الغير ، (المستوجبين العقاب) المستحقين له

الشرح : إن الله تعالى متفضل على الناس ، بنعمه وإحسانه ، وعفوه وحلمـــه ، وهو سبحانه عادل لا يظلم ، بل يعطي من الثواب على الحسنة أضعاف ما يستحق العبد وذلك كرم منه تعالى وفضل كما قال عز وجـــل { إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً }[1] كما أنه تعالى قد يعـــاقب علـــى الذنب ، وإن فعل فذلك عدل منه لاستحقاق العبد العقاب بمعصيته ، وقد يعفو تعـــالى عن صاحب الذنب فضلاً منه ، وذلك نعمة كبرى منه سبحانه يستحق الشكر عليـــها ، وشفاعة الأنبياء عليهم السلام يوم القيامة ثابتة بالكتاب والسنة والاجتماع ، قال تعالى : { من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه }[2] فشفاعتهم ثابتة لكنها إنما تكون بـــإذن الله تعالى ، وشفاعة النبي ﷺ لآهل الكبائر من المسلمين الذين استوجبوا العقاب بذنوبهـــم ،

---

[1] . سورة النساء ، الآية ٤٠ .

[2] . سورة البقرة الآية (٢٥٥)

هذه الشفاعة حق ثابت ، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : " شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي "[1] فشفاعته للمذنبين حق إن شاء الله تعالى .

ووزن الأعمال بالميزان يوم القيامة حق ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ، كما سبق الكلام عنه ، وكذلك حوض النبي ﷺ حق ثابت ، وهو حوض عظيم ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل ، ورائحته كريح المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، يرده المؤمنون يوم القيامة ، ويُصد عنه أهل البدع والمحدثات ، وهو حوض عظيم الاتساع ، قال في حقه ﷺ : " حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منها فلا يظمأ أبدا "[2] وهذا الحوض المورود مما يكرم به نبينا ﷺ.

[1] أحمد (٢١٣/٣) وأبو داوود (١٠٦/٥/ح/٤٧٣٩) في السنة بباب الشفاعة ، و الترمذي (٦٢٥/٤ ح ٢٤٣٥) في صفة القيامة باب كلهم من حديث أنس مرفوعاً ، وورد من حديث جابر وابن عباس وابن عمر وكعب بن عجرة وقال الترمذي : حسن صحيح غريب ، وصححه الألباني في (صحيح الجامع ٦٩١/١/ رقم ٣٧١٤) .

[2] . البخاري (٤٧٢/١١/ ح ٦٥٧٩) في الرقاق باب في الحوض من حديث أبي مليكة عن ابن عمرو مرفوعاً .

الجنة والنار لا تفنيان

والقصاص فيما بين الخصوم بالحسنات يوم القيامة حق ، وإن لم تكن لهم الحسنات فطرح السيئات عليهم حق جائز ، والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ، ولا يفنى عقاب الله تعالى ، وثوابه سرمدا ، والله تعالى يهدي من يشاء فضلا منه ، ويضل من يشاء عدلا منه ، وإضلاله خذلانه ، وتفسير الخذلان أن لا يوفق العبد إلى ما يرضاه وهو عدل منه ، وكذا عقوبة المخذول على المعصية

اللغة :

الشرح : إن القصاص بين الخصوم يوم القيامة بإعطاء المظلوم من حسنات الظالم وإن لم يكن له حسنات فبطرح شيء من سيئات المظلوم على الظالم ، كما صح الحديث بذلك " فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار "[1] ومما يعتقده أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان الآن وموجودتان لا تفنيان أبدا خلافا لقول من قال غير ذلك من أهل البدع ، والحور العين خالدات لا يمتن أبدا .

بل خالدات بخلود الجنات ، وكذلك فإن النار لا تفنى ، ولا يفنى عذابها ، فعقاب الله دائم لا ينقطع ، وثوابه تعالى دائم لا ينقطع .

والله تعالى يهدي من يشاء تفضلا منه ، ويضل من يشاء عدلا منه ، كما قال تعالى : { ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء }[2] . قال الإمام الطحاوي في عقيدته : " يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلا ، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا ، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله "[3] .

---

[1] . مسلم (١٩٩٧/٤/ح٢٥٨١) في البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم ، وأحمد (٣٠٣/٢) والترمذي (٦١٣/٤/ح ٢٤١٨) في صفة القيامة باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص ، كلهم من حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا .

[2] سورة النحل الآية (٩٣) .

[3] . شرح العقيدة الطحاوية ص (٩٨)

والإضلال هو الخذلان ، ومعنى الخذلان الحرمان من التوفيق إلى ما فيه رضـــوان الله ، وإذا ما خذل الله عبدا فهذا عدل منه ، وهو يستحق الخذلان ، وكذلك عقوبـة الله للمخذول على ما يرتكبه من المعاصي عدل من الله تعالى .

الخلاصة :

الله تعالى قد يعاقب على الذنب أو يعفو ، ويضاعف الحسنات ، وللأنبياء شفاعة ثابتة ، والوزن حق ، والحوض حق ، والقصاص حق ، والجنة والنار حـــق لا تفنيـــان ، والهدى والضلال بيد الله تعالى .

المناقشة :

س١ـــ ما القول في شفاعة الأنبياء ؟

س٢ـــ ماذا تعرف عن الحوض والميزان ؟

س٣ـــ هل يقتص للخصوم من بعضهم يوم القيامة ؟

س٤ـــ ما حكم القول بفناء النار ؟ وهل ينقضي بقاؤها وبقاء الجنة ؟

عذاب القبر

ولا يجوز أن نقول : إن الشيطان يسلب الإيمان من العبد المؤمن قهراً وجبراً . ولكن نقول : العبد يدع الإيمان فحينئذٍ يسلبه منه الشيطان .

وسؤال منكر ونكير حق كائن في القبر ، وإعادة الروح إلى الجسد في قبره حق ، وضغطة القبر وعذابه حق كائن للكفار كلهم ، ولبعض عصاة المؤمنين حق جائز ، وكل شيء ذكره العلماء بالفارسية من صفات الله عز اسمه فجائز القول به سوى اليد بالفارسية ، ويجوز أن يقال(بَروئ خُدَ) أي ـ عز وجل ـ بلا تشبيه ولاكيفية

اللغة : (يدع) يترك .

الشرح : إن الشيطان لا يستطيع أن يسلب الإيمان من المؤمن قهراً وجبراً ، ولكن إذا تخلى العبد عن إيمانه ويقينه وعمله الصالح ، وركن إلى الشبهة والمعصية وغيرها فحينئذ يسلب الشيطان منه الإيمان ، ومن أصول أهل السنة الإيمان بسؤال القبر ويباشره ملكان هما منكر ونكير ،وقد ثبت في حقهما عدة أحاديث صحيحة منها قوله ﷺ : " إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير ، فيقولان : " ما كنت تقول في هذا الرجل " ، الحديث[1] . وهكذا فإن أهل السنة يؤمنون بأن الروح ترجع إلى الجسد في القبر للسؤال ، وهذا حق ثبتت به الأحاديث الصحيحة ومنها الحديث السابق ، فهذا كله حق كائن للكفار لا شك فيه ، وقد وردت فيه النصوص الكثيرة من القرآن والسنة ، فلا سبيل لإنكاره ، وأثبتت النصوص كذلك أن عصاة المؤمنين يجوز أن يعذب الله من شاء منهم في القبر بذنوبه حتى يقضي ما عليه .

---

[1] . الترمذي (٣/٣٨٣/ح/١٠٧١) في الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر من حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعاً وقال الترمذي : حسن غريب ، وحسنه الألباني في (صحيح الجامع ١/١٨٦/ح ٧٢٤)

ثم بين الإمام ـــ رحمه الله ـــ أن ما قاله العلماء بالفارسية أو بغيرها من اللغـــات غير العربية من صفات الله تبارك وتعالى فيجوز القول به ما عدا اليد بالفارسية فلا يجـــوز القول بها ولكن يجوز أن ينطق الإنسان كلمة عز وجل بالفارسية أو غيرها .

معنى القرب والبعد

وليس قرب الله تعالى ولا بعده من طريق طول المسافة وقصرها ، ولكن على معنى الكرامة والهوان ، والمطيع قريب منه بلا كيف ، والعاصي بعيد منه بلا كيف ، والقرب والبعد والإقبال يقع على المناجي وكذلك جواره في الجنة ، والوقوف بين يديه بلا كيفية .

اللغة : (المناجي) المفعول من ناجى ، والمناجاة هي الكلام الهامس .

الشرح : والله تعالى يقرب من يشاء من المؤمنين ، فيكرمه وينصره ويسدده ، ويبعد من يشاء من العصاة والكافرين فيهينه ويخذله ، كل ذلك بلا كيف ، وكذلك جواره في الجنة ، والوقوف بين يدي الله تعالى ، كل ذلك حق نؤمن به ولا نكيفه ، فإن التكييف باب الضلال .

الخلاصة :

سؤال القبر وعذابه حق ، والشيطان يسلب الإيمان إذا تركه العبد ، ويجوز ذكر الله تعالى بالفارسية ما عدا اليد ، وقربه وبعده تعالى من عباده ووقوفهم بين يديه ومجاورتهم له ، كل ذلك بلا كيف .

المناقشة :

س١ـ ماذا تعرف عن سؤال القبر وعذابه ؟

س٢ـ هل يقدر الشيطان أن يسلب الإيمان من العبد ابتداء ؟

س٣ـ هل يمكن تكييف القرب والبعد لله تعالى ؟

القول في تفاضل آيات القرآن

والقرآن منزل على رسول الله ﷺ، وهو في المصاحف مكتوب ، وآيات القرآن في معنى الكلام كلها مستوية في الفضيلة والعظمة ، إلا أن لبعضها فضيلة الذكر ، وفضيلة المذكور مثل آية الكرسي ، لأن المذكور فيها جلال الله تعالى وعظمته وصفاته ، فاجتمعت فيها فضيلتان : فضيلة الذكر وفضيلة المذكور ، ولبعضها فضيلة الذكر فحسب مثل قصة الكفار ، وليس للمذكور فيها فضل وهم الكفار ، وكذلك الأسماء والصفات كلها مستوية في العظمة والفضل لا تفاوت بينها

اللغة : (جلال) هو العظمة ورفعة الشأن .

الشرح : القرآن الكريم هو كلام الله تعالى ، منزل على رسول الله ﷺ كما قال تعالى : { إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله }[1] والقرآن الذي هو كلام الله تعالى ، هو هذا المكتوب في المصاحف بين أيدينا كما هو الإجماع على ذلك .

وآيات القرآن كلها مستوية في الفضيلة والعظمة كونها كلام الله تعالى ، غير أن لبعضها فضيلة زائدة من حيث إنها كلام الله ، وكونها تشتمل على ذكر أشياء لها فضل على غيرها مثل آية الكرسي ، فهي كلام الله ، وتشتمل على ذكر أمور مثل جلال الله تعالى وعظمته ، وبعض صفاته ، فلها فضل على غيرها ، بينما هناك بعض الآيات لها فضيلة الذكر كونها كلام الله تعالى إلا أن المذكور فيها لا فضل له كالآيات التي فيها ذكر الكفار فهي كلام الله تعالى ولكن الكفار المذكورين فيها ليس لهم فضل .

وكذلك أسماء الله وصفاته مستوية في الفضل والعظمة ، ولكننا نقول إن هذه الأسماء ما يفضل على غيره ، كما في حديث " اسم الله الأعظم في ثلاث آيات ... "[2] فهي تتفاضل كذلك كما تفاضل الكلام .

---

[1] . سورة النساء الآية (١٠٥)

[2] . الحاكم (١/٥٠٥) من حديث القاسم عن أبي أمامة وسكت عنه ، والطبراني والبيهقي وغيرهما ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/٢٢٨) رقم ٩٧٩ .

الخلاصة :

آيات القرآن متساوية في الفضل والعظمة ، إلا أن لبعضها فضلاً زائداً ، وصفاته تعالى وأسماؤه متساوية في الفضل والعظمة ، إلا أن لبعضها فضلاً .

المناقشة :

س١ـــ هل تتفاوت آيات القرآن في الفضل ؟

س٢ـــ هل تتفاوت أسماء الله تعالى وصفاته في الفضل ؟

أبناء رسول الله وبناته

وقاسم وطاهر وإبراهيم كانوا بني رسول الله ﷺ، وفاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم كن جميعاً بنات رسول الله ﷺ، وإذا أشكل على الإنسان شيء من دقائق علم التوحيد ، فإنه ينبغي له أن يعتقد في الحال ما هو الصواب عند الله تعالى إلى أن يجد عالماً فيسأله ، ولا يسعه تأخير الطلب ، ولا يعذر بالوقف فيه ، ويكفر إن وقف ، وخبر المعراج حق من رده فهو مبتدع ضال .

اللغة : (أشكل) اشتبه ، (دقائق) المسائل الدقيقة وهي العويصة ، (المعراج) مفعال من العروج أي الصعود ، وهو ما يصعد عليه .

الشرح : وأبناء النبي ﷺ هم : القاسم وبه كان يكنى ، والطاهر ويقال له الطيب ، ويقال : عبد الله ، وهما ولداه من خديجة رضي الله عنها ، وإبراهيم وهو ولده عليه الصلاة والسلام من أمته مارية التي أهداه إياها المقوقس ملك مصر ، وليس له أولاد غيرهم رضي الله عنهم ، وأما بناته فهن فاطمة زوج علي بن أبي طالب وأم الحسن والحسين رضي الله عنهم جميعاً ، ورقية وهي زوج عثمان بن عفان ، وأم كلثوم وتزوجها كذلك عثمان بعد وفاة رقية رضي الله عنهم ، وزينب وتزوجها أبو العاص بن الربيع رضي الله عنه ، وكلهن بناته من خديجة رضي الله عنهن ، وانتقل الإمام ــ رحمه الله ــ إلى مسألة أخرى وهي ما يجب على الإنسان إذا أشكل عليه شيء من مسائل التوحيد الدقيقة والعويصة فالواجب عليه أن يعتقد ما هو الصواب عند الله كالجاهل الذي يسأل في أمر فيشكل عليه ، فيوطن نفسه على اعتقاد ما هو حق عند الله تعالى ، إلى أن يجد عالماً فيسأله ، ولا يجوز له التأخير والتقاعس في السؤال والبحث .

وأما قوله (فلا يعذر بالوقف) ففيه تناقض مع ما قبله ، إلا إذا كان المقصود بالتوقف هنا هو التوقف في قبول الخبر أو الأمر ، فهذا مما ينافي الإيمان حقاً ، لكنه إن

قبل الخبر أو الأمر وقال أومن بما هو الصواب عند الله تعالى وذلك حتى يتمكن من السؤال والبحث فهنا يثبت إيمانه .

وأما خبر المعراج فهو حق ثابت لا ينكره إلا مبتدع ضال ، وقد أطبق أهل السنة على الإيمان به والقول به ، ولم ينكره إلا المبتدعة أهل الضلال ، لكنه حق .

الخلاصة :

كان للنبي ﷺ ثلاثة أولاد وأربع بنات ، والواجب على كل إنسان اعتقاد ما هو الحق عند الله فيما يستغلق عليه من مسائل التوحيد ، ويجب الإيمان بخبر المعراج واعتقاد أنه حق .

المناقشة :

س١ــ اذكر من هم أبناء رسول الله ﷺ وبناته .

س٢ــ ما الواجب على الإنسان إذا اشتبه عليه شيء من مسائل التوحيد ؟

س٣ــ ما حكم من أنكر خبر المعراج ؟

أشراط الساعة

وخروج الدجال ويأجوج وماجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام من السماء ، وسائر علامات يوم القيامة على ما وردت به الأخبار الصحيحة حق كائن ، والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

اللغة : (سائر) جميع .

الشرح : ومما يؤمن به أهل السنة والجماعة ما وردت به النصوص من أشراط الساعة وعلاماتها ومنها خروج الدجال و يأجوج و مأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام من السماء وغيرها ، وقد جمعها النبي ﷺ في قوله في الساعة : " إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات : الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ، و يأجوج و مأجوج "[1] . الحديث ، فكل هذه العلامات وغيرها مما وردت به الأخبار الصحيحة كله حق كائن ولابد وذلك بمقتضى تصديقنا الخبر ، والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

الخلاصة :

يؤمن أهل السنة بسائر علامات الساعة التي وردت في الأخبار الصحيحة وهي كائنة لا محالة .

المناقشة :

س١ــ هل يجب الإيمان بعلامات الساعة الواردة في الأخبار ؟

س٢ــ اذكر بعضاً من علامات الساعة الواردة في الأخبار الصحيحة ؟

---

[1] . أخرجه مسلم (٢٢٢٦/٤) ح ٢٩١٠ في الفتن باب الآيات التي تكون قبل الساعة وأحمد (٦/٤) وغيرها من حديث أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري .

الشرح الميسر

للفقه الأبسط

المنسوب لأبي حنيفة

رواية أبي مطيع البلخي عن أبي حنيفة

المقدمة ..

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

وبعد :

فإن كتاب الفقه الأبسط للإمام أبي حنيفة رواية أبي مطيع البلخي ، هو رواية أخرى للفقه الأكبر ، فقد نقل عنه الأئمة المحققون ، كابن تيمية في (الحموية) (٥/٤٦) وابن قدامة في (العلو) (ص ١١٦) وابن القيم في (اجتماع الجيوش الإسلامية) (ص٧٦) والذهبي في (العلو) (ص ١٠١) وسموه الفقه الأكبر ، ولم يعرف باسم الفقه الأبسط إلا عند بعض متأخري الحنفية كالبياض في إشارات المرام (ص٢٨) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين) (٢/١٤) وسمياه بالفقه الأبسط تمييزا له على الفقه الأكبر برواية حماد بن أبي حنيفة ، وراوي هذا الكتاب هو : أبو مطيع البلخي الحكيم بن عبد الله بن مسلم الخراساني ، قال عنه أبو داوود : تركوا حديثه وكان جهميا ، وقال أبو حاتم : كان مرجئا ضعيف الحديث ، وقال ابن حبان : كان من رؤساء المرجئة ، وممن يبغض السنن ومنتحليها . وقال ابن عدي : هو بين الضعف عامة ما يرويه لا يتابع عليه ، وقال الذهبي وابن حجر : كان ابن المبارك يعظمه ويجله لدينه وعلمه .

قلت : قولهما : لدينه : أي لزهده ، وأما قولهما : لعلمه ، فالظاهر أنه يعني فقهه وما حملني على إخراج هذا الكتاب أنه معول عليه عند الحنفية والماتريدية ، مع أن كثيرا من الماتريدية خالفوا بعض ما في هذا الكتاب ولاسيما في باب الصفات .

ويظهر أن هذا الكتاب من تخريج أبي مطيع على كلام أبي حنيفة ، فلذا ما رأيناه مخالفا لما قرره الطحاوي في عقيدته التي نقلها عن الإمام أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن فنجزم أنه كذب على أبي حنيفة ، إلا إذا خالف بدعة أبي مطيع في التجهم وتعطيل الصفات فنقبلها إذ ليس فيها نصرة لمذهبه .

ومنهجي في إخراج هذا الكتاب ما يلي :

١) وضع المتن في أعلى الصفحة .

٢) شرح الغريب من الألفاظ .

٣) شرح المعنى الإجمالي بطريقة مبسطة موافقة لمذهب السلف .

٤) عزوت الآيات إلى مواضعها في كتاب الله .

٥) اجتهدت في عزو الأحاديث إلى مواضعها في دواوين السنة مع بيان درجتها كلما أمكن .

٦) عملت لكل فقرة خلاصة لاختصار الفائدة .

٧) اتبعت الخلاصة بأسئلة لبيان مدى استفادة القارئ .

٨) عملت عناوين جانبية لتسهيل الرجوع للكتاب .

فما كان في هذا الكتاب من حق فمن الله ، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله بريء منه ، وأستغفر الله من الخطأ والزلل .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآلــه وصحبــه أجمعين . روى الإمام أبو بكر بن محمد الكاساني عن أبي بكر علاء الدين محمــد بــن أحمد السمرقندي ، قال: اخبرنا أبو المعين ميمون بن محمد بن مكحــول النســفي ، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن علي الكاشغري الملقب بالفضل قال : أخبرنا أبو مــالك نصران بن نصر الختلي عن علي بن الحسن بن محمد الغزال عن أبي الحسن علي بــن أحمد الفارسي حدثنا نصير بن يحيى الفقيه قال : سمعت أبا مطيع الحكم بن عبــد الله البلخي يقول :

(من أصول أهل السنة والجماعة)

سألت أبا حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنه وعنهم الفقــه الأكــبر فقال : ألا تكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ، ولا تنفي أحداً من الإيمان .

اللغة : (الحمد) الثناء على الجميل الاختياري ، (رب) الرب هو المربي الســيد المالك المتصرف . (العالمين) جمع عالم . (الصلاة) الصلاة في اللغة الدعاء . (الفقه الأكبر) الفقه لغة الفهم . (لا تكفر) لا تحكم بالكفر . (أهل القبلة) أي المنتسبين إلى الإســلام . (لا تنفي) لا تخرج .

الشرح : سئل الإمام أبو حنيفة ــ رحمه الله ــ عن الفقه الأكــبر ــ أي علــم معرفة العقائد ــ وإنما سماه بالفقه الأكبر لأنه أعظم العلوم ، وحاجة العباد إلى معرفتــه أعظم من حاجتهم إلى معرفة ما عداه ، فبينه ــ رحمه الله ــ بمسائل منها :

- عدم تكفير أحد من أهل القبلة ــ أي المسلمين ــ بذنب ، وعدم نفيــه ــ أي إخراجه ــ من الإيمان فإن المسلم إذا دخل في الإسلام لا يكفر إلا بجحود ما أدخلــه

فيه ، لكنه لا يكفر بارتكابه لذنب إلا إذا استحل هذا الذنب وأنكر تحريمه ، فإن الله سبحانه وتعالى ـــ لم يحكم في كتابه على أهل المعاصي بالكفر ولا كفرهم النبي ﷺ.

قال الإمام الطحاوي ـــ رحمه الله ـــ في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب أبي حنيفة وصاحبيه : " ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله "[١] .

---

[١] . شرح العقيدة الطحاوية ص (٢٩٠) .

وأن تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولا تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ.

اللغة : (المعروف) كل فعل عرف حسنه بالشرع أو بالعقل . (المنكر) عكس المعروف ما علم قبحه . (لا تتبرأ) تبرأ من كذا أي تخلص منه وتخلص منه وتخلى عنه .

الشرح : وهذا من أصول أهل السنة والجماعة ، وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما قال تعالى في وصف هذه الأمة {كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله}[1] وهو واجب على هذه الأمة على الكفاية بقدر ما يتحقق الواجب فلو قام به البعض سقط عن الباقين .

ومن أعظم أصولهم أيضا أن يعلم الإنسان أن ما قدره الله وقضاه كائن ، فإذا قدر الله أن يصيب الإنسان سوء فلابد أن يصيبه مهما اجتهد في دفعه ، وإذا قدر له أن لا يصاب به لم يصب ولو اجتمع جميع الخلق على أن يترلوه به ، كما قال تعالى : {وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله}[2] ومن هنا يتبين أن الذين يستغيثون بأهل القبور وينذرون لها ليسوا على دين أهل التوحيد ، بل هم على دين أهل الشرك ، فالإمام أبو حنيفة وغيره من أئمة الإسلام برءاء منهم ، فقد قال الإمام أبو حنيفة : " لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به "[3] .

وكذلك قول النبي ﷺ لعبد الله بن العباس ـ رضي الله عنهما ـ : " واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك "[4] فلا بد أن يؤمن الإنسان بذلك ، وهذا من أصول أهل السنة ، كما ذكر الإمام الطحاوي ـ رحمه الله

---

[1] . سورة آل عمران الآية (١٠٠)

[2] . سورة يونس الآية (١٠٧)

[3] . الدر المختار مع حاشية رد المختار (٣٩٦/٦ : ٣٩٧) .

[4] . أخرجه احمد (٢٩٣/١، ٣٠٣، ٣٠٧) والترمذي (٦٦٧/٤/٢٥١٦) في صفة القيامة باب (٥٩) ، وغيرهما من حديث حنش عن ابن عباس مرفوعا ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١٣١٧/٢: ١٣١٨/ ح ٧٩٥٧) .

ـ في عقيدته : " فلو اجتمع الخلق على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه ، ولو اجتمعوا كلهم على شيء لم يكتبه الله تعالى فيه ليجعلوه كائناً لم يقدروا عليه ، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة "[1] .

[1] . شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٤ .

ولا توالي أحداً دون أحد ، وأن ترد أمر عثمان وعلي إلى الله تعالى

اللغة : (ولا توالي) أي لا تتخذ ولياً وهو الحبيب والنصير . (ترد) ترجع .

الشرح : ومن أصول أهل السنة أيضاً أن لا يتبرأ الإنسان من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ بل يحبهم جميعاً ويعلم أن الله اختارهم لصحبة نبيه ﷺ ، قال الطحاوي ـــ رحمه الله ـــ في عقيدته : " ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم ، ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبهم دين وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان "[1] . وهكذا فالمسلم يحبهم جميعاً ويعرف لهم قدرهم ويواليهم جميعهم ، ولا يوالي أحداً دون أحد بل يتولاهم جميعاً ، ولا يفعل كما تفعل الروافض الذين يتولون بعضاً ويتبرؤون من الباقي ، وكذلك من أصول أهل السنة أن يرد المسلم أمر عثمان رضي الله عنه إلى الله ، فيما أخذه عليه بعض الصحابة من توليه أقاربه أو غير ذلك ، وأن يُحسن به الظن ، وأن يعتقد أنه قُتل ـــ رضي الله عنه ـــ مظلوماً ، وأن قتله كان فاتحة شر على الأمة ، وكذلك يرد أمر علي رضي الله عنه فيما شجر بينه وبين بعض أصحابه في وقعة الجمل وصفين ، وما وقع بينه وبين معاوية رضي الله عنه من اقتتال وسفك للدماء ، كل ذلك مردود إلى الله تعالى ، يعلم المسلم أنهم مجتهدون ، منهم مصيب ومنهم مخطئ ، وكلهم مأجور إن شاء الله ، ويمسك المسلم عما شجر بينهم فلا يذكرهم إلا بخير ، ولا ينشغل بذكر ما وقع بينهم ويحسن بهم جميعاً الظن فكلهم مريد للخير إن شاء الله .

[1] . شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٤ .

الخلاصة : من أصول أهل السنة والجماعة عدم تكفير المسلم بالمعصية ومـــوالاة جميع الصحابة ، ورد ما شجر بينهم إلى الله تعالى .

المناقشة :

س١ــ ما موقف أهل السنة من مسألة تكفير المسلم بالمعصية ؟

س٢ــ بين موقفهم من الصحابة ، مع ذكر موقف الروافض .

س٣ــ اذكر ما ينبغي أن يعتقده المسلم في شأن عثمان وعلي رضي الله عنهما ؟

أفضل الفقه وتعريف الإيمان وأركانه

وقال أبو حنيفة رضي الله عنه : " الفقه في الدين لأفضل من الفقه في الأحكام ولأن يتفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من أن يجمع العلم الكثير " قال أبو مطيع قلت : فأخبرني عن أفضل الفقه ؟ قال أبو حنيفة : أن يتعلم الرجل الإيمان بالله تعالى والشرائع والسنن والحدود واختلاف الأمة واتفاقها . قال : قلت : فأخبرني عن الإيمان ؟ فقال : حدثني ابن مرثد عن يحيى بن يعمر قال : قلت لابن عمر رضي الله عنهما : أخبرني عن الدين ما هو ؟ قال : عليك بالإيمان فتعلمه . قلت : فأخبرني عن الإيمان ما هو ؟ قال : فأخذ بيدي فانطلق إلى شيخ فأقعدني إلى جنبه فقال : إن هذا يسأل عن الإيمان كيف هو ؟

اللغة : (الأحكام) مسائل الفروع . (الإيمان) لغة التصديق واصطلاحا قول و عمل يزيد وينقص تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح . (الشرائع) جمع شريعة وهي ما شرعه الله لعباده . (السنن) جمع سنة تشمل كل ما ثبت عن النبي ﷺ. (الحدود) جمع حد وهو ما ينتهي إليه الشيء .

الشرح : بين أبو حنيفة رحمه الله تعالى أن تعلم مسائل الاعتقاد وأصول الدين وهي ما تصح به عقيدة الإنسان خير له من تعلم مسائل الفروع التي قد لا تكون بنفس الخطورة ، ولهذا كان تعلم مسائل أصول الدين خير من جمع أطراف العلم بالفروع ولما سئل عن أفضل الفقه بين ذلك بأنه تعلم الإنسان كيف يؤمن بالله تعالى ؟ وكيف يصحح إيمانه ويستكمل شعبه ؟ ويعرف شرائع الله تعالى وسنن رسوله ﷺ وما اختلفت فيه الأمة وما اتفقت عليه من مسائل الدين ، ولما سئل رحمه الله عن بيان الإيمان وذلك لما تكلم عن مكانته وسأله السائل عن حقيقة الإيمان فبينها رحمه الله من خلال الحديث الذي ساقه لما سئل ابن عمر عن الدين فذكر الإيمان ولما سأله السائل عن الإيمان أراد أن

يبينه له بيانا مؤكدا فأخذه من يده وانطلق به إلى شيخ لا يعرفه السائل فأقعده إلى جنبه وكان ذلك الشيخ ممن شهد بدرا مع رسول الله ﷺ فأخبره بسؤال السائل عن الإيمان كيف هو ؟

فقال : والشيخ كان ممن شهد بدرا مع رسول الله ﷺ فقال ابن عمر : كنت إلى جنب رسول الله ﷺ وهذا الشيخ معي إذ دخل علينا رجل حسن اللمة متعمما نحسبه من رجال البادية فتخطى رقاب الناس فوقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! ما الإيمان ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله .

اللغة : (حسن اللمة) اللمة هي شعر الرأس المجاور شحمة الأذن . (تخطى رقاب الناس) المراد بذلك أنه تخطى الصفوف متقدما للأمام . (بين يدي) أمام . (شهادة) وهي الإخبار عن علم .

الشرح : ثم بين له كيف كان جالسا مع النبي ﷺ يوما فدخل عليهم رجل حسن الشعر لابسا عمامته ، يحسبه الرائي من رجال البادية ، فتخطى الناس حتى وقف أمام النبي ﷺ فسأله : ما الإيمان ؟ فبينه النبي ﷺ بقوله (شهادة أن لا إله إلا الله) أي الإقرار والاعتراف بأن الله تعالى هو المستحق للعبادة دون سواه لأنه المنفرد بالخلق والرزق والتدبير ، كما قال تعالى : { هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض }[1] فلما كان هو المنفرد بالخلق والرزق والملك والتدبير والتصرف ، أي المنفرد بالربوبية كان من الواجب إفراده بالألوهية ــ أي العبودية ــ لأنه هو المستحق لها ، فمعنى (لا إله إلا الله) لا مستحق للعبادة إلا الله ، وإن كان هناك معبودات أخرى لكنها باطلة لا تستحق العبادة إذ ليس لها من الأمر شيء كما قال عز وجل : {ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل}[2] فالإقرار بالألوهية متضمن للإقرار بالربوبية ، و الإقرار بالربوبية مستلزم للإقرار بالألوهية ، ولا يكون الإنسان موحدا حقا حتى يوحد الله في ربوبيته ، وألوهيته ، وفي أسمائه وصفاته وذلك بأن يعتقد

---

[1] . سورة فاطر الآية (٣)

[2] . سورة الحجر الآية (٦٢)

أن الله تعالى متسم بالأسماء الحسنى ، متصف بالصفات العلى يثبتها لله كما أثبتها لنفسه على معناها الحقيقي دون أن يعطل معناها بتأويل يخرجها عن حقيقتها أو تحريف أو غيره هذا مع اعتقاد عدم مشابهة الله تعالى لخلقه أبدا فإنه تعالى قال في كتابه : { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير }[1] فالصواب الذي كان عليه السلف في هذا الباب (إثبات بلا تمثيل ، وتنزيه بلا تعطيل) .

كما أن من لازم (لا لإله إلا الله) الكفر بما عبد من دونه من الطواغيت فإنها نفي لكل هذه الآلهة الباطلة في قولنا : (لا إله) ثم إثبات العبودية لله وحده (إلا الله).

---

[1] . سورة الشورى الآية (١١)

اللغة : (رسوله) هو المرسل بشرع المأمور بتبليغه . (ملائكته) جمع ملك خلق نوراني لطيف خلقهم الله لعبادته وتنفيذ أمره .

الشرح : وشهادة أن محمداً عبده ورسوله تستوجب الإقرار بأنه عليه السلام عبد من عباد الله فلا نرفعه فوق مترلته ، قال تعالى : { **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** }[1] ولكنه رسول من الله تعالى ، مبلغ عن الله وحيه فلا نغمطه حقه ولا نخفضه عن مترلته التي يستحق ، واعتقاد أنه آخر النبيين كما قال تعالى : { **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** }[2] فدعوى النبوة بعده كفر وضلال ، وهو { **وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى** }[3] أتى بأحسن شرع وأكمله ، فاتباعه واجب والاقتداء به شرط لدخول الجنة وقبول العمل

والإيمان بالملائكة يستلزم الإيمان بأنهم خلق مكرمون { **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** }[4] وهم قائمون على تنفيذ أمر الله تعالى ، فالإيمان بهم واجب على وجه الإجمال ، ثم نؤمن بمن ورد النص فيهم تفصيلا، ومنهم جبريل و ميكائيل وإسرافيل وملك الموت ومنكر ونكير ورقيب وعتيد وحملة العرش والحفظة وغيرهم .

---

[1] . سورة الإسراء الآية (١) .

[2] . سورة الأحزاب الآية (٤٠) .

[3] . سورة النجم الآيتان (٣ ، ٤) .

[4] . سورة التحريم الآية (٦) .

اللغة : (كتب) جمع كتاب وهو ما أنزله الله على بعض رسله . (رسله) جمع رسول وهو من أرسل مبلغا بشرع .

الشرح : والإيمان بالكتب يتضمن الإيمان بأن الله تعالى أنزل على بعض رسله كتبا فيجب الإيمان بها إجمالا ، والإيمان بما ورد به النص منها تفصيلا كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن ، قال تعالى : {وأنزل التوراة والإنجيل * من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان}[1] وقال : { وآتينا داوود زبورا }[2] ويجب الإيمان بأن القرآن هو خاتم هذه الكتب وخيرها والمهيمن عليها وأنه كلام الله { لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد }[3]

والإيمان بالرسل يشتمل على أمور منها الإيمان بأن الله تعالى أرسلهم للناس كما قال : {رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل}[4] وهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى ، منهم من نعرفه ومنهم من لم نعرف كما قال تعالى { ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك }[5] فيجب الإيمان بهم إجمالا ، وبمن ورد منهم النص تفصيلا وهم آدم ونوح وإدريس وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وشعيب وهارون وداوود

[1] . سورة آل عمرن الآية (٣، ٤) .

[2] . سورة النساء الآية (١٦٣) .

[3] . سورة فصلت الآية (٤٢) .

[4] سورة النساء الآية (١٦٥) .

[5] . سورة النساء الآية (١٦٤) .

وسليمان وزكريا ويحيى و اليسع وذو الكفل ويونس وأيوب وإلياس وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وهم أفضل بني آدم وأولهم دخولا الجنة وأكرمهم على الله تبارك وتعالى ، فيجب الإيمان بهم أجمعين واعتقاد أنهم مطهرون مخلصون ، وأنهم معصومون من الشرك والكبائر ومن تعمد الصغائر .

اللغة : (اليوم الآخر) يوم القيامة . (القدر) هو المقدور والتقدير ، ما يقضي الله على عباده .

الشرح : ويجب الإيمان باليوم الآخر وهو يوم القيامة ، والإيمان به من أعظم أركان الإيمان ، قال تعالى : { ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين . . }[1] والإيمان به يشتمل على الأمور التي وردت بها النصوص من الكتاب والسنة وهي : سؤال القبر وفتنته ونعيمه وعذابه ، والبعث للأرواح والأجساد والحشر للحساب وأهوال يوم القيامة والنفخ في الصور والحوض والميزان والصراط والصحف والجنة ونعيمها والنار وعذابها فكل هذه الأمور ثبتت بها النصوص وجحد أي منها كفر بالله تعالى وردة عن الإسلام .

❖ ومن أركان الإيمان ، الإيمان بالقدر ، و هذا يعني أربعة أمور : **الأول** : الإيمان بالعلم ، أي أن الله تعالى علم كل شيء قبل خلقه ، قال تعالى : {وهو بكل شيء عليم }[2] **والثاني** : الإيمان بالكتابة ، فالله تعالى علم كل شيء ثم كتبه في اللوح المحفوظ ، ولا يخرج شيء عما كتبه الله تعالى كما قال : { ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها }[3] . **والثالث** : الإيمان بالمشيئة فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا يكون شيء من خير أو شر إلا بمشيئة الله تعالى ، قال عز وجل : { ولكن الله يفعل ما يريد }[4] . **والرابع** :

[1] . سورة البقرة الآية (١٧٧) .
[2] . سورة البقرة الآية (٢٩) .
[3] . سورة الحديد الآية (٢٢) .
[4] . سورة البقرة الآية (٢٥٣) .

الإيمان بالخلق فإن الله تعالى هو الذي خلق كل شيء ، حتى الخير والشر كله مخلـوق لله عز وجل . وقد قال تعالى : { اللهُ خالق كل شيء }[1] فما من شـيء إلا والله خالقه ، وأفعال العباد من خير ومن شر هو خالقها كما قال تعالى : { واللهُ خلقكم وما تعملون }[2] وذلك بخلاف المعتزلة الذين جعلوا الإنسان خالقا لأفعال الشـر وهكذا جعلوه خالقا مع الله .

---

[1] . سورة الزمر الآية (٦٢) .

[2] . سورة الزمر الآية (٩٦) .

فقال : صدقت : فتعجبنا من تصديقه رسول الله ﷺ مع جهل أهل البادية ، فقال : يا رسول الله ! ما شرائع الإسلام فقال : إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا والاغتسال من الجنابة . فقال : صدقت . فتعجبنا لقوله بتصديقه رسول الله ﷺ كأنما يعلمه . فقال يا رسول الله وما الإحسان ؟

اللغة : (الزكاة) لغة الطهارة . (الصوم) لغة الإمساك .(الحج) لغة القصد والقدوم . (الجنابة) حال من نزول مني أو كان منه جماع . (الإحسان) لغة الإجادة .

الشرح : ثم إن الرجل سأل النبي ﷺ عن شرائع الإسلام فأخبره النبي ﷺ بها وعدد منها : إقام الصلاة أي أداء الصلوات الخمس في أوقاتها على الوجه الذي شرعه الله ورسوله مع المحافظة على أركانها وواجباتها وسننها ، وعد منها إيتاء الزكاة أي إخراجها في وقتها المحدد وبمقاديرها المشروعة لمن تجب له من الأصناف المحددة في الشريعة ، وعد منها صوم رمضان ، وهو الامتناع عن الأكل والشرب والشهوة وسائر المفطرات في نهار رمضان من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع الامتناع عن سائر المحرمات ، وعد منها حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا أي قصد البيت الحرام بمكة أيام الحج للطواف والسعي وأداء النسك ، وذلك لمن ملك الزاد والراحلة . وجميع ما ذكر من أركان الإسلام ، قال تعالى : { وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة }[1] وقال { كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون }[2] وقال : { ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا }[3] ثم عد من شرائع الإسلام الاغتسال من الجنابة وهو واجب على كل من جامع أو نزل منه المني ولا يصح أن يترك المسلم الاغتسال من الجنابة بحال ، بل يجب عليه الاغتسال منها .

---

[1] . سورة المزمل الآية (٢٠) .

[2] . سورة البقرة الآية (١٨٣) .

[3] . سورة آل عمران الآية (٩٧) .

قال : أن تعمل لله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : صدقت . فقال : يا رسول الله ! متى الساعة ؟ فقال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل . ثم مضى ، فلما توسط الناس لم نره ، فقال النبي ﷺ: إن هذا جبريل أتاكم ليعلمكم معالم دينكم "[1] .

اللغة : (الساعة) القيامة . (معالم) مفردها معلم وهي علامات الشيء وصفته .

الشرح : ثم إن السائل سأل رسول الله ﷺ عن الإحسان فبين له النبي ﷺحقيقة معنى الإحسان وهو أن عبادة الله تعالى كأنك تراه أمام عينيك ، فتعمل له على هذا الأساس ، وإذا كنت في واقع الأمر لا تراه بعين رأسك فيكفيك علمك بأنه يراك حتى تجتهد في تصحيح العبادة وتخليصها من كل شائبة ، ثم سأله السائل عن القيامة متى هي ؟ فأخبره النبي ﷺأنه لا يعرف عنها أكثر مما يعلمه السائل ، إذ هي مما استأثر الله بعلمه { يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي }[2] وهنا مضى الرجل فلما كان في وسط الناس اختفى فلم يروه ، فأخبرهم النبي ﷺأن هذا الرجل في حقيقته إنما هو جبريل عليه السلام أتاهم لكي يعرفهم مسائل أصول الدين وعلاماته الأصلية وذلك فضل من الله تعالى عليهم ، فإنه لما كانت هذه الأمور أعظم ما يجب على الإنسان علمه ، ولما كان كثير من الصحابة يستحي أن يسأل رسول الله ﷺ عنها ، أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام في هذه الصورة لكي يسأل النبي ﷺ عن هذه الأمور ، فيعلم الناس حقيقة ما أحجموا أن يسألوا عنه . وأفاد الحديث كذلك أن مجموع ما ذكر هو كل مسائل أصول الدين التي لا يستغني مسلم عن معرفتها والعلم بها .

---

[1] . أخرجه مسلم (٣٦/١) ح ٨ الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان من حديث ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما .

[2] . سورة الأعراف الآية (١٨٧) .

الخلاصة :

أفضل الفقه معرفة أصول الدين ، وأركان الإيمان ستة : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وشرائع الإسلام أصلها الصلاة والزكاة والصيام والحج والغسل من الجنابة ، والإحسان عبادة الله تعالى على المراقبة ، وأما الساعة فعلمها عند الله .

المناقشة :

س١ــ ما هو أفضل الفقه ؟

س٢ــ تكلم بالتفصيل عن أركان الإيمان .

س٣ــ ما هي أصول شرائع الإسلام ؟

س٤ــ عرف الإحسان .

س٥ــ متى تقوم الساعة ؟

حكم من كذب بالخلق أو أنكر معلوما من الدين بالضرورة

قال أبو مطيع : قلت لأبي حنيفة رحمه الله : فإذا استيقن بهذا وأقر بـــه فـــهو مؤمن ؟ قال : نعم . إذا أقر بهذا فقد أقر بجملة الإسلام وهو مؤمـــن . فقلــت : إذا أنكر بشيء من خلقه فقال : لا أدري من خالق هذا . قال : فإنه كفر لقوله تعـــالى : {خالق كل شيء} فكأنه قال : له خالق غير الله ، وكذلك لو قال : لا أعلـــم أن الله فرض علي الصلاة والصيام والزكاة فإنه قد كفر . لقوله تعـــالى : {أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة} ولقوله تعالى : {كتب عليكم الصيام} ولقوله تعـــالى : {فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون} فإن قال أؤمن بهذه الآية

اللغة : (استيقن) أي تحقق وتأكد . (أقر) اعـــترف . (ســبحان) كلمـــة تنـــزيه . (تمسون) وقت المساء . (تصبحون) تصيرون في وقت الصبـــاح . (عشـــيا) وقت آخر النهار . (تظهرون) تصيرون وقت الظهيرة .

الشرح : ثم سأل السائل أبا حنيفة عن حكم من أقر بما ذكر من مسائل أصـــول الدين وشرائع الإسلام واستيقن بها قلبه هل يحكم له بالإيمان ؟ فأجابه بالإجابة ، ثم سـألـه السائل عن حكم من أنكر أن يكون الله خلق شيئا معينا ونفى علمه بمن خلقه فأجابـــه بأنه يكفر لأنه شك في قوله تعالى : {الله خالق كل شيء}[1] لأنه إما أن يكون الله قد خلق الشيء وإما أن يكون هناك خالق غير الله ، وبين له كذلك أن من أنكـــر علمـــه بفرضية الصلاة والزكاة والصيام عليه فإنه يكفر لأنه والحالة هذه يكون جاحدا لقولـــه

---

[1] . سورة الزمر الآية ٦٢ .

تعالى : { وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة }[1] ولقوله تعالى : {كتب عليكم الصيام}[2] فمنكر هذه الأشياء جاحد لكتاب الله وجاحد لما علم ضرورة على جميع الأمة ، وكذلك هو منكـــر لقوله تعـالى : { فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . . . وحين تظهرون }[3] فإنها ــ أي الآية ــ بيان للصلوات الخمس (حين تمسون) صلاة المغـــرب والعشـــاء ، (حين تصبحون) صلاة الصبح . (عشيا) صلاة العصر . (تظهرون) صلاة الظـــهر . فهي بيان لأوقات الصلاة إجمالا .

---

[1] . سورة المزمل الآية (٢٠) .

[2] . سورة البقرة الآية (١٨٣) .

[3] . سورة الروم الآية (١٧، ١٨) .

ولا أعلم تأويلها ، ولا أعلم تفسيرها فإنه لا يكفر ، لأنه مؤمن بالتنزيل ومخطـــئ في التفسير الخطأ في التأويل لا يكفر به المرء والجاهل في أرض الشرك لا يكفر.قلت لـه : لو أقر بجملة الإسلام في أرض الشرك ولا يعلم شيئا من الفرائض والشرائع ولا يقـــر بالكتاب ولا بشيء من شرائع الإسلام إلا أنه مقر بالله تعالى وبالإيمان ولا يقر بشـــيء من شرائع الإيمان فمات ، أهو مؤمن ؟

قال : نعم . قلت : ولو لم يعلم شيئاً ولم يعمل به إلا أنه مقر بالإيمان فمـــات .

قال : هو مؤمن .

تعريف أبي حنيفة للإيمان وتفويض الأعمال إلى الله تعالى وكل ميسر لما خلق له

قلت لأبي حنيفة : أخبرني عن الإيمان . قال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وتشهد بملائكته وكتبه ورسله وجنته وناره وقيامته وخيره وشره .

اللغة : (تأويل) المراد هنا التفسير . (التنـــزيل) مصدر نزل والمراد هنا ما أنزلـــه الله . (الفرائض) جمع فريضة وهي ما أوجبها الله على عباده .

الشرح : فمن آمن بهذه الآية ولكنه جهل تفسيرها أو فهم منها غير ما ذكر فـلا يكفر إذ هو مؤمن بما أنزل الله لكنه لم يفقه المعنى المراد ، فإن الخطأ لا يكفر به الإنســـان ولو أنه كان في دار الشرك فأقر بالله وبأصول الإيمان ولكنه لم يقر بشرائع الإســـلام ولا يعلم عنها شيئا فإنه معذور بجهله ولا يرتفع عنه اسم الإيمان ، وذلـــك لأن دار الشـــرك مظنة الجهل بشرائع الإسلام وعدم العلم بها والجهل مما يعذر الله تعالى به الإنسـان ، إذ لا يعذب الله أحدا إلا بعد أن يقيم عليه الحجة كما قال عز وجل : **{وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا }**[1] .

---

[1] . سورة الإسراء الآية (١٤) .

فالله تعالى لا يعذب إلا بعد الإعذار بإقامة الحجة ، من هنا عذر الإمام أبو حنيفة من كان في دار الشرك بخلاف من هو في دار الإسلام فإنها مظنة العلم وظهور الحق وعدم خفائه ، فقد لا يعذر فيها من لم يقر بالشرائع ، وأما المقيم في دار الشرك فيعذر إلا إذا بلغته الشرائع فأنكرها وحينئذٍ فإنه يرتفع عنه اسم الإيمان ، ثم شرع أبو حنيفة في بيان أصول الإيمان فذكر منها توحيد الله تعالى والإيمان بالملائكة والكتب والرسل وأمور الآخرة ، وبقدر الله تعالى خيره وشره ، كل ذلك من عند الله تعالى .

الخلاصة : إنكار خلق الله لشيء كفر صريح وأما التأويل فلا يكفر به ، والجاهل في أرض الشرك لا يكفر .

المناقشة :

س١ــ ما حكم من أنكر خلق الله لشيء من مخلوقاته ؟

س٢ــ هل يكفر المتأول ؟

س٣ــ ما حكم الجاهل في أرض الشرك إذا ارتكب مكفراً ؟

وتشهد أنه لم يفوض الأعمال إلى أحد ، والناس صائرون إلى ما خلقوا لـــه ، وإلى ما جرت به المقادير ـــ فقلت له : رأيت إن أقر بهذا كله لكنه قال : المشـــيئة إليّ إن شئت آمنت ، وإن شئت لم أؤمن لقوله تعالى { فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر }

فقال : ذلك في زعمه ، ألا ترى إلى قوله تعـــالى : { كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله } .

اللغة :(يفوض) يوكل .(زعمه) الزعم هو الظن،وأكثر ما يستعمل إذا كان باطلاً

الشرح : أضاف إلى ذلك أمراً آخر ، وهو الإيمان بأن الله تعــــالى لم يفــوض الأعمال إلى أحد من الخلق ، يعمل ما يشاء مستقلاً عن إرادة الله ومشيئته وقدره ، فـالله تعالى قد خلق للإنسان مشيئة وإرادة لكنها لا تستقل عن إرادة الله تعالى ومشيئته ، لقوله تعالى : { وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين }[1] ولقوله تعالى : { والله خلقكم وما تعملون }[2] . فلا أحد يعمل ما يشاء استقلالاً لكنه إنما يتحرك في إطار ما كتبـه الله وقدره وقضاه ، وكل إنسان صائر إلى ما أراده الله وقضاه عليه ، وإلى ما جرت به أقـدار الله عز وجل ، لا يخرج أحد عن قدر الله طرفة عين ، وهنا سأله السائل عن حكم مـــن اقر بهذا ، لكنه زعم أن المشيئة إليه مستقلة عن مشيئة الله ، وأنه إن أراد آمــــن وإن أراد كفر استقلالاً عن مشيئة الله ، واستدل بقوله تعـــالى : { فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر }[3] . ورد الإمام عليه بأنه كاذب في زعمه ذلك لقوله تعالى : { كلا إنه تذكرة *

---

[1] . سورة التكوير الآية (٢٩)

[2] . سورة الصافات الآية (٩٦) .

[3] . سورة الكهف الآية (٢٩) .

فمن شاء ذكره * وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة }[1] ، فهناك مشيئة للعبد لكنها مخلوقة لله ، وأيا كان اختيار العبد فهو مخلوق لله تعالى مقدور له ، كما قال تعالى : { الله خالق كل شيء }[2] ، وقال : { وخلق كل شيء فقدره تقديرا }[3] . فهذا يؤيد ما ذهب إليه الإمام .

---

[1] . سورة المدثر الآيات (٥٤، ٥٦) .

[2] . سورة الزمر الآية (٦٢) .

[3] . سورة الفرقان الآية (٢) .

وقال تعالى : {وما تشاؤون إلا أن يشاء الله} وقوله تعالى : {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر} هذا وعيد وبهذا لم يكفر ، لأنه لم يرد الآية وإنما أخطأ في تأويلها ، ولم يرد به تنزيلها . قلت له : إن قال إن إصابتي مصيبة (فسئلت) أهي مما ابتلاني الله بها أو هي مما اكتسبت (أجاب قائلاً) : ليست هي مما ابتلاني الله بها . أيكفر ؟ قال : لا ، قلت : ولم ؟ قال : لأن الله تعالى قال : {ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك} . أي بذنبك وأنا قدرته عليك وقال : {وما أصابك من مصيبة فبما كسبت أيديكم} أي بذنوبكم . وقال تعالى : {يضل من يشاء ويهدي من يشاء} . قال : إلا أنه أخطأ في التأويل ومعنى قوله {يحول بين المرء وقلبه} أي بين المؤمن والكفر . وبين الكافر والإيمان .

اللغة : (وعيد) تهديد . (ابتلاني) أصابني . (قدرته) كتبته علي . (يضل) يصرف عن الهدى .

الشرح : وقول الله تعالى : {وما تشاؤون إلا أن يشاء الله}[1] صريح في أن العباد لا يختارون إلا ما اختاره الله لهم ، وأراده لهم وهم وإن كانت لهم مشيئته فعلاً إلا أنها مخلوقة لله تعالى . قال الله عز وجل : {والله خلقكم وما تعملون}[2] ولذلك فإنهم لا يخرجون عما قدر الله لهم وقوله تعالى : {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}[3] ليس على إرادة التخيير وإباحة اختيار الكفر لكنه وعيد وتهديد كما يقول الابن لأبيه إذا ضربتني فسأكسر الكأس ، فيقول له اكسرها إذا شئت ، فهذا ليس للتخيير إنما هو للتهديد . وحكم أبو حنيفة بعدم كفر من أخطأ في تأول الآية من حيث إنه لم يجحد في

---

[1] . سورة التكوير الآية (٢٩) .

[2] . سورة الصافات الآية (٩٦) .

[3] . سورة الكهف الآية (٢٩) .

التتزيل و لم يرد الآية عموماً ثم سأله السائل عمن قال : إن المصائب ليست بـــابتلاء الله وإنما هي بكسبي وبذنوبي ، فأجاب أبو حنيفة : بأنه لا يكفر . لأن الله تعالى قال : { ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك }[1] وقـال : { وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم }[2] أي بسبب ذنوبكم وخطاياكم ، ولا يمنع هذا من كونها قدراً ، فإن الذنوب وعواقبها كلها تجري بقدر وكلها مما كتب الله علـى عباده فلا تنافي بين هذا وهذا . من هنا حكم أبو حنيفة بأن من ربط المصائب بـالذنوب فقط إنما أخطأ في التأويل فلا مسوغ لتكفيره وإخراجه من الإسلام .

ثم بين معنى قوله تعالى : { يحول بين المرء وقلبه }[3] بأنه يحول بـين المؤمـن والكفر إذا نازعته نفسه ، وبين الكافر والإيمان ، وهذا القول منقول عن ابـن عبـاس والضحاك وسعيد بن جبير وغيرهم ، وهو أحد الأقوال في تفسير الآية وما رجحه ابـن جرير أن المراد : أن الله تعالى أقرب لقلوب العباد وأملك لها منهم ، فيشمل ذلك كل مـا قيل في تفسير الآية[4] .

الخلاصة : إن مشيئة الله نافذة في كل شيء ، والله تعالى خلق للإنسان مشـيئة لكنها لا تستقل عن مشيئة الله تعالى ، فالإنسان إذا شاء أمراً فإنما يختار ما اختاره الله له

المناقشة :

س١ـ هل للإنسان مشيئة أم لا ؟ وهل هي مستقلة ؟

س٢ـ ما الدليل على أن مشيئة الإنسان مخلوقة ؟

س٣ـ هل يستطيع مخلوق أن يخرج عن مشيئة الله ؟

---

[1] . سورة النساء الآية (٧٩) .

[2] . سورة الشورى الآية (٣٠) .

[3] . سورة الأنفال الآية (٢٤) .

[4] . انظر تفسير الطبري ٢١٥/٦ .

كلامه عن الاستطاعة

قال أبو حنيفة رحمه الله : (إن الاستطاعة التي يعمل بها العبد المعصية هي بعينها تصلح لأن يعمل بها الطاعة ، وهو معاقب في صرف الاستطاعة التي أحدثها الله تعالى فيه وأمره أن يستعملها في الطاعة دون المعصية) قلت : فإن قال : (الله تعالى لم يجبر عباده على ذنب ثم يعذبهم عليه فما نقول له ؟) .

اللغة : (الاستطاعة) القدرة والطاقة ، (يجبر) يكره .

الشرح : بين أبو حنيفة رحمه الله أن الاستطاعة والقدرة عند العبد التي يفعل بها المعصية هي نفسها تصلح لأن يعمل بها الطاعة إذا أراد ، وذلك لأن الاستطاعة نوعان : نوع قبل الفعل وهي بمعنى التمكن وسلامة الأدوات وهي التي يتعلق بها التكليف ، وتتعلق بها الإرادة الشرعية ، واستطاعة مقارنة للفعل وسابقة له وهي التي يوجد بها الفعل وتتعلق بها الإرادة الكونية . قال الطحاوي في عقيدته : " والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به ، تكون مع الفعل ، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب وهو كما قال تعالى : { لا يكلف الله نفساً إلا وسعها }[1] [2].

وبين رحمه الله أن العبد معاقب في صرفه الاستطاعة والقدرة هذه إلى المعصية ؛ لأنه لما كان في وسعه أن يصرفها إلى الطاعة واختار المعصية كان ملوماً في ذلك ، مستحقاً للوزر والتثريب ، وذلك لأن الله خلق فيه هذه الاستطاعة ، وأمره شرعاً أن يستعملها في الطاعة ، والعبد مطالب ومكلف بالأمر الشرعي لا الكوني ، فلما كان مخالفاً كان مستحقاً للوم والعقوبة لمخالفته الأمر الشرعي فيما هو مقدور له ومستطاع له . ثم سأله السائل عمن قال إن الله تعالى لم يجبر عباده على المعصية وأنه لا يليق أن يجبرهم على الذنب ثم يعذبهم عليه باعتبار أن هذا ينافي العدل وهذا ما قالت به القدرية .

---

[1] . سورة البقرة الآية (٢٨٦) .

[2] . انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٢٦ .

الرد على من زعم أن الله لم يخلق الشر

قال له هل يطيق العبد لنفسه ضراً ولا نفعاً ؟ فإن قال : لا لأهم مجبورون في الضر والنفع ما خلا الطاعة والمعصية فقل له : هل خلق الله الشر ؟ فإن قال : نعم . خرج من قوله ، وإن قال : لا . كفر لقوله تعالى : { قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق } أخبر أن الله تعالى خلق الشر . قلت : فإن قال : ألستم تقولون إن الله شاء الكفر وشاء الإيمان . فإن قلنا : نعم . يقول : أليس الله تعالى يقول : { هو أهل التقوى وأهل المغفرة } نقول نعم .

اللغة : (يطيق) يستطيع . (مجبورون) مكرهون . (أعوذ) ألتجئ وأتحصن . (الفلق) الصبح ينشق من ظلمة الليل . (التقوى) حقيقتها اتخاذ الحاجز والوقاية .

الشرح : أجاب أبو حنيفة بأن يسأل مثل هذا : هل يملك العبد لنفسه ضراً ولا نفعاً ، فإن قال : لا . لأنهم مجبورون في الضر والنفع فليس هذا إليهم ، كما قال تعالى : { قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله }[1] . ولكنهم غير مجبورين في الطاعة والمعصية . فهذا يقال به : هل خلق الله الشر ؟ فإن قال : نعم . فقد رجع عن قوله الأول حيث إنه بهذا يثبت أن الله خالق الشر وليس الإنسان . وإن قال : لا ، لم يخلق الله الشر فقد كفر لأنه مكذب بقوله تعالى { قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق }[2] حيث إن هذه الآية فيها إخبار من الله تعالى بأنه خالق الشر كما خلق الخير . ومعلوم أنه تعالى خالق لكل شيء ، وكلامه هنا فيه رد على القدرية ، ولو أن هذا القائل احتج على أهل الحق فقال : ألستم تقولون إن الله تعالى هو الذي شاء الإيمان والكفر وأراد أن

---

[1] . سورة يونس الآية (٤٩) .

[2] . سورة الفلق الآية (١، ٢) .

يوجد ؟ فإن قالوا : نعم . قال ذلك القائل لهم : أليس الله تعالى يقول : { هو أهل التقوى وأهل المغفرة }[1] و ها هنا لو أجابوه بنعم ، فإنه يقول لهم: أهو الله تعالى

[1] . سورة المدثر الآية (٥٦) .

فيقول أهو أهل الكفر ؟ فما نقول له ؟ قال : نقول : هو أهل لمن يشاء الطاعة ، وليس بأهل لمن يشاء المعصية . فإن قال : إن الله تعالى لم يشأ أن يقال عليه الكذب . فقل له : الفرية على الله من الكلام والمنطق أم لا ؟ فإن قال : نعم . فقل من علم آدم الأسماء كلها ؟ فإن قال : الله . فقل الكفر من الكلام أم لا ؟ فإن قال نعم . فقل : من أنطق الكافر ؟ فإن قال : الله . خصموا أنفسهم ، لأن الشرك من النطق ، ولو شاء الله لما أنطقهم به . قلت فإن قال : إن الرجل

اللغة : (أهل) أي مستحق . (الفرية) الكذب . (المنطق) أي النطق .

الشرح : أهل الكفر ــ أي مستحق لأن يكفر به الناس ــ ؟ فعلمه أبو حنيفة أن يجيب عن مثل هذا بأن الله تعالى أهل ومستحق للطاعة لمن شاء وليس بأهل للمعصية والكفر لمن شاء ذلك . ولو فرضنا أن هذا القائل قال : إن الله تعالى لم يشأ و لم يقدر أن يقال عليه الكذب ، فالجواب أن يقال : هل الافتراء والكذب على الله من الكلام والنطق أم لا ؟ فإن قال : نعم . ولا يسعه غير ذلك ــ فيقال له : من علم آدم الأسماء كلها ؟ فإن قال : الله ــ ولا يسعه غير ذلك ــ فيقال له : الكفر من الكلام أم لا ؟ فإن قال : نعم . ــ ولا يسعه غير ذلك ــ فيقال له : من الذي أنطق الكافر وأقدره على أن يقول كلمة الكفر ؟ { ولقد قالوا كلمة الكفر }[1] فإن قال : الله . فقد أبطل حجته ، وأظهر بطلانه ، حيث إنه قد أقر بأن الله تعالى هو الذي جعل الكافر ينطق بكلمة الكفر حيث إن النطق بالشرك كلام ، ولا يقال إن إرادة الكافر غلبت إرادة الله فنطق بما لم يرد الله أن ينطق به ، ولكن يقال : بأن نطقه إنما كان بإرادة الله ومشيئته . قال الله تعالى في كتابه : { والله خلقكم وما تعملون }[2] . فكل قول يصدر من البشر بما فيه الكفر إنما هو بمشيئة الله ، وخلق لله عز وجل ، وهنا سئل أبو حنيفة عما إذا قال القائل : إن الرجل هو الذي

---

[1] . سورة التوبة الآية (٧٤) .

[2] . سورة الصافات الآية (٩٦) .

إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل ، وإن شاء أكل ، وإن شاء لم يأكل ، وإن شاء شرب وإن شاء لم يشرب . قال : فقل له : هل حكم الله على بني إسرائيل أن يعبروا البحر وقدر على فرعون الغرق ؟ فإن قال : نعم . قل له : فهل يقع من فرعون أن لا يسير في طلب موسى وألا يغرق هو وأصحابه ؟ فإن قال نعم فقد كفر ، وإن قال : لا . نقض قوله السابق .

اللغة : (حكم) قضى وقدر . (نقض) أبطل .

الشرح : شاء فعل الشيء وإن شاء لم يفعله ، وإن شاء أكل وإن شاء لم يأكل ، وإن شاء شرب وإن شاء لم يشرب ، وهذا وإن كان ظاهره حقاً فمراد القائلين به في الحقيقة نفي مشيئة الله تعالى وإضافة الفعل إلى العبد استقلالاً دون اعتبار لدخول مشيئة العبد في مشيئة الله تعالى .

فأجاب أبو حنيفة رحمه الله : بأن مثل هذا يقال له : هل حكم الله وقضى وقدر أن يعبر بنو إسرائيل البحر وأن يغرق فرعون ؟ فإن قال نعم . وذلك لإقراره بأن النفع والضر ليس للعبد فيه إرادة ـــ فها هنا يقال له : هل يجوز أن يقع من فرعون عدم المسير والخروج لإدراك موسى ومن معه وبالتالي ألا يغرق هو وأصحابه ؟ فإن أجاب بنعم . فإنه يكفر لزعمه بجواز أن يخرج أحد عما قدر الله عليه ، وإن قال : لا . فقد نقض وأبطل قوله السابق حيث إنه أراد في الحقيقة نفي أن يكون الله تعالى هو الذي أراد أن يقع الشر وأراد أن تقع المعصية ، وهذا منه رحمه الله رد على القدرية .

الخلاصة : استطاعة العبد للمعصية هي نفسها التي تستطاع بها الطاعة ، ولهذا فالعبد معاقبٌ في صرفه الاستطاعة إلى المعصية ، والخير و الشر كائنات بإرادة الله تعالى وخلقه والعبد وإن كان مريداً لكن إرادته داخلة في إرادة الله عز وجل .

المناقشة :

س١ـــ تكلم عن الاستطاعة وأنواعها عند العبد؟وما التي يتعلق بها الخطاب الشرعي ؟

س٢ـــ هل للعبد مشيئة في فعل الخير والشر أم لا ؟ وهل تخرج عن مشيئة الله تعالى ؟

س٣ـــ بماذا تجيب على من زعم أن مشيئة العبد مستقلة عن مشيئة الله .

باب في القدر .

قال : حدثنا علي بن أحمد عن نصير بن يحيى قال : سمعت أبا مطيع يقـــول : قال أبو حنيفة رضي الله عنه : حدثنا حماد عن إبراهيم عن عبد الله بن مسعود رضـــي الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ : " إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم علقة مثل ذلك ، ثم مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه ملكاً يكتب عليـــه رزقه وأجله وشقي أم سعيد ، والذي لا إله غيره ! إن الرجل ليعمل عمل أهل النـــار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمـــل أهـــل الجنـــة فيموت فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينـــها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل النار فيموت فيدخلها " .

اللغة : (نطفة) لغة : الماء الصافي ، واللؤلؤة الصغيرة الصافية ، والمراد هنا مـــاء الرجل . (علقة) المراد هنا قطعة الدم التي يتكون منها الجنين . (مضغة) المراد بها قطعـــة اللحم طور من أطوار الجنين في بطن أمه . (ذراع) الذراع في الإنسان من طرف المرفـــق إلى طرف الإصبع الوسطى .

الشرح : بدأ أبو حنيفة رحمه الله كلامه عن القدر بسوقه لحديث ابن مســـعود رضي الله عنه مرفوعاً : " إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه .. "[1] وهذا الحديث مـــن أعظم الأدلة في باب القدر ، فإنه أثبت أن الله علم وكتب الرزق والأجل والعمل والمصير ، كل ذلك قبل العمل ، وأثبت أنه لا خروج لأحد عما قدره الله له وكتبه عليـــه ، وأن الكل يرجع إلى ما قدر الله تعالى وأراده ، كما أنه من دلائل نبوة النبي ﷺ حيث أثبـــت أطوار الخلق ومراحله كما كشف عنها العلم الحديث ، فصلوات الله وسلامه عليه .

[1] . الحديث أخرجه : البخاري (٤١٨/٦) ح ٣٣٣٢ في أحاديث الأنبياء باب خلق آدم وذريتـــه ومســـلم (٢٠٣٦/٤) حديـــث ٢٦٤٣ في أول القدر كلاهما من حديث زيد بن وهب عن ابن مسعود مرفوعاً ، وفيه ذكر العمل مع الأجل والرزق وشقي أو سعيد

باب في (البغي والخروج على الإمام)

قلت : فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيتبعه على ذلك ناس فيخرج على الجماعة ، هل ترى ذلك ؟

قال : لا ، قلت : ولِمَ ؟ وقد أمر الله تعالى ورسوله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا فريضة واجبة . فقال : هو كذلك لكن ما يفسدون من ذلك أكثر مما يصلحون ، من سفك الدماء واستحلال المحارم وانتهاب الأموال ، وقد قال الله تعالى : { وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله } .

قلت : فنقاتل الفئة الباغية بالسيف ؟ قال : نعم . تأمر وتنهى فإن قبل وإلا قاتلته ، فتكون مع الفئة العادلة ، وإن كان الإمام جائراً لقول النبي عليه الصلاة والسلام : " لا يضركم جور من جار ولا عدل من عدل ، لكم أجركم وعليه وزره " قلت له :

اللغة : (سفك الدماء) المراد به إهراق الدم الحرام . (استحلال المحارم) أي الوقوع فيما حرم الله . (انتهاب الأموال) أي أخذ الأموال المحرمة . (بغت) ظلمت وجارت . (تفيء) ترجع . (جائراً) ظالماً . (وزره) أي ذنبه وإثمه .

الشرح : ثم سئل عمن تصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقويت شوكته فخرج على الجماعة ؟ فنهى عن ذلك أبو حنيفة ، ولما استغرب السائل ذلك مع ورود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووجوبه ، فسَّر أبو حنيفة ذلك بأن الذين يفعلون ذلك يقعون في فساد أكبر مما قاموا لأجله من الإصلاح ، لأن خروجهم على جماعة المسلمين يحدث من ورائه الفتن فتسفك الدماء التي حرم الله تعالى وتستحل المحارم وتنتهك ، وتضيع الأموال المصونة وتنهب ، فيكون بسبب ذلك فساد كبير وشر مستطير ، وقد أمر الله تعالى في كتابه بالإصلاح بين المتقاتلين من المسلمين ، ثم قتال الباغين حيث قال

تعالى : { وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا . . }[1] فدل ذلك على وجوب الإصلاح أولاً ثم على وجوب قتال البغاة بعد ذلك حتى يرجعوا إلى أمر الله تعالى . وهنا سأله السائل : هل يقاتل البغاة بالسيف ؟ فأجابه أبو حنيفة بنعم . ولكن بعد الأمر والنهي فيدعى الباغي للتوبة فإن أبى قوتل ، ويكون المرء مع الفئة العادلة والتي هي جماعة المسلمين حتى ولو كان إمامها جائراً ، مادامت له البيعة ، وما دام لم يأت بكفر بواح لنا من الله فيه برهان ، فلا يحل قتاله ، واستدل أبو حنيفة بالحديث " لا يضركم جور من جار ولا عدل من عدل ، لكم أجركم وعليه وزره "[2]

---

[1] . سورة الحجرات الآية (٩) .

[2] . لم أقف عليه .

ما تقول في الخوارج المحكمة ؟قال : هم أخبث الخوارج . قلت له: أتكفرهم؟ قال : لا ولكن نقاتلهم على ما قاتلهم الأئمة من أهل الخير وعلي وعمر بن عبد العزيز . قلت :

اللغة : (الخوارج) هم الذين خرجوا على إمام الهدى علي بن أبي طالب رضي الله عنه . (المحكمة) من ألقابهم حيث أنكروا تحكيم الحكمين أبي موسى وعمرو وقالوا إن الحكم إلا لله . (أخبث) أشر .

الشرح : أي الواجب على الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وليسوا مسؤولين عن عدل العادل أو جور الجائر من الحكام ماداموا قائمين بالأمر والنهي فلهم أجرهم ، وأما الجائر من أولئك فعليه وزره .

ثم سأله السائل عما يقال في الخوارج المحكمة ؟ وهم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وقعة صفين ، وبعد موافقته على طلب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه على تحكيم أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص . وهنا ثار الخوارج واتهموا علياً بالكفر وقالوا قولتهم المشهورة : { إن الحكم إلا لله }[1] وهذه آية من كتاب الله ، ولكن قال لهم علي : كلمة حق أريد بها باطل . فهؤلاء لما رفضوا التحكيم وقالوا قولتهم هذه سُمُّوا مُحكِّمة ، وقد حكم أبو حنيفة بأنهم من أخبث وأشر الخوارج ، ولما سُئل عن تكفيرهم أنكره وذلك لأن علياً والصحابة لم يكفروهم ، بل قال علي : إخواننا بغوا علينا.ولكن حكم أبي حنيفة بأنهم يقاتلون على ما قاتلهم عليه الأئمة من أهل الخير حتى يرجعوا إلى الحق وإلى جماعة المسلمين ، ويرجعوا عن باطلهم .

---

[1] . سورة يوسف الآية (٤٠) .

فإن الخوارج يكبرون ويصلون ويتلون القرآن ، أما تذكر حديث أبي أمامة رضي الله عنه حين دخل مسجد دمشق ، فإذا فيه رؤوس ناس من الخوارج فقال لأبي غالب الحمصي : يا أبا غالب ! هؤلاء ناس من أهل أرضك فأحببت أن أعرفك من هؤلاء ، هؤلاء كلاب أهل النار ، وهم شر قتلى تحت أديم السماء ـ وأبو أمامة في ذلك يبكي ـ فقال أبو غالب : يا أبا أمامة ما يبكيك ؟ إنهم كانوا مسلمين وأنت تقول لهم ما أسمع ؟ قال : أهؤلاء يقول الله تعالى فيهم : { يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون } قال له : أشيء تقوله برأسك أم سمعته من رسول الله ﷺ قال :إني لو لم أسمعه منه إلا مرة أو مرتين أو ثلاث مرات إلى سبع مرات ما حدثتكموه .

اللغة : (يتلون) يقرؤون . (أديم السماء) أديم كل شيء ظاهره ، والمراد هنا ليس تحت السماء .

الشرح : ولما استغرب السائل مسألة قتال الخوارج وهم يكبرون ويؤدون الصلاة ويقرؤون القرآن ، أورد على أبي حنيفة حديثا لأبي أمامة رضي الله عنه لما رأى رؤوسا لأناس من قتلى الخوارج موجودة في مسجد دمشق ، فأخبر أبو أمامة رضي الله عنه صاحبه أبا غالب بحقيقة ما عليه هؤلاء الخوارج من أنهم كلاب أهل النار وأشر أهل النار ، ومن قتل منهم فهو شر قتيل على وجه الأرض وتحت قبة السماء ، وكان أبو أمامة يبكي رضي الله عنه ، فقال له صاحبه إن هؤلاء كانوا مسلمين فكيف تقول فيهم هذا القول ؟ فنبهه أبو أمامة رضي الله عنه أن هؤلاء ممن قال الله فيهم { يوم تبيض وجوه . .

خالدون } [1] فهؤلاء لما فرقوا جماعة المسلمين واستحلوا المحارم استحقوا الجزاء المترتب على ذلك وهو سواد الوجه يوم القيامة لأنهم فرقوا الدين وفرقوا الجماعة ، ثم لما سأله صاحبه عن هذا الكلام في حق الخوارج أكد له أبو أمامة أنه سمعه من النبي ﷺ [2] والأحاديث الواردة في ذكر الخوارج وذمهم كثيرة معلومة .

---

[1] . سورة آل عمران الآيتان (١٠٦، ١٠٧) .

[2] . أخرجه بتمامه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٤٤/٧/ ٣٧٨٩٢) باب ما ذكر في الخوارج من رواية أبي غالب عن أبي أمامة رضي الله عنه .

فكفر الخوارج كفر النعم ، كفر بما أنعم الله تعالى عليهم . قلت : الخوارج ، إذا خرجوا وحاربوا وأغاروا ثم صالحوا هل يتبعون بما فعلوا ؟ قال : لا غرامة عليهم بعد سكون الحرب ، ولا حد عليهم ، والدم كذلك لا قصاص فيه . قلت : ولم ذلك ؟ قال : للحديث الذي جاء أنه لما وقعت الفتنة بين الناس في قتل عثمان رضي الله عنه فاجتمعت الصحابة رضي الله عنهم على أن من أصاب دما فلا قود عليه ، ومن أصاب فرجا حراما بتأويل فلا حد عليه ، ومن أصاب مالا بتأويل فلا تبعة عليه إلا أن يوجد المال بعينه فيرد إلى صاحبه . قلت : إن قال قائل : لا أعرف الكافر كافرا . قال : هو مثله . قلت : فإن

اللغة : (كفر النعم) ضد الشكر وهو غير مخرج من الملة . (أغاروا) هاجموا وشنوا الغارة . (يتبعون) أي يلتمسون بغرض القصاص و استقضاء الحق . (قود) هو القصاص .

الشرح: ثم بين رحمه الله أن كفر الخوارج كفر نعمة وليس كفرا مخرجا من الملة بل هو انحراف عن الشكر الواجب في نعمة الله تعالى ، وهنا سأله السائل عما إذا حارب الخوارج وأغاروا أي بدؤوا بالغارة والهجوم على الناس ثم وقع الصلح هل يلتمسون ويبحث عنهم بغرض القصاص منهم ؟ فأجابه بأنه بعد سكون الحرب وتوقف القتال فليس عليهم غرامة ولا عقوبة ولا حد ، ولا يقتص للدماء التي أهريقت ، فسأله السائل عن السبب فأجاب بأنه لما وقعت الفتنة بين الناس بسبب قتل عثمان رضي الله عنه اتفقت الصحابة على أن من أصاب دما ــ أي قتل ــ بتأويل ــ أي بخطأ من التفسير والفهم وخطأ ظن ــ فليس عليه قصاص ، وأن من أصاب فرجا حراما بتأويل ــ أي باعتقاد حله ــ فلا حد عليه ، وأن من أصاب مالا بتأويل ــ أي باعتقاد حله ــ فلا تبعة عليه ــ أي لا عقوبة ولا حد عليه ــ إلا إذا عثر على هذا المال بعينه لا غيره ولا شبهه فحينئذ يرد إلى صاحبه الأصلي ، ثم سأله السائل عن حكم من قال لا أعرف الكافر كافرا ، أي نفى أن يكون الكافر المقطوع بكفره كافرا ، كالذي ينفي الكفر عن

يهودي أو نصراني ، فأجابه الإمام بأنه والحالة هذه يكون كافرا مثله ، وذلك لأن من أصول أهل السنة الحكم بالكفر على كل من ورد تكفيره نصا في الكتاب والسنة ، والطوائف التي ورد الحكم نصا كذلك بتكفيرها، وكذلك من أجمع أهل العلم على كفره.

الخلاصة : لا يجوز الخروج على الإمام العدل ، وأما كفر الخوارج فهو كفر نعمة ، وليس كفرا أكبر .

المناقشة :

س١ــ هل يجوز الخروج على الإمام ؟

س٢ــ هل الخوارج كفارا أم لا ؟

قال : لا أدري أين مصير الكافر ؟قال : هو جاحد لكتاب الله تعالى وهو كافر

القول فيمن يشك في إيمانه

قلت له: فما تقول لو أن رجلا قيل له: أ مؤمن أنت ؟ قال : الله أعلم . قال : هو شاك في إيمانه . قلت : فهل بين الكفر والإيمان منـــزلة إلا النفاق وهـــو أحـــد الثلاثة إما مؤمن أو كافر أو منافق ؟ قال : لا ليس بمنافق من يشك في إيمانه .

قلت : لم ؟ قال : لحديث صاحب معاذ بن جبل وابن مسعود ، حدثني حمـــاد عن حارث بن مالك ـــ وكان من أصحاب معاذ بن جبل الأنصاري ـــ فلما حضـــره الموت بكى .

اللغة : (مصير) أي مآل . (جاحد) منكر . (منزلة) مكانة .

الشرح : ثم سأله السائل عمن قال : لا أعرف أين مصير الكافر ؟ فحكم أبـــو حنيفة بجحوده للقرآن وبكفره ، لأن الله تعالى قـــال في كتابـــه : { وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا }[1] وقـــال : { والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير }[2] ، وقال : { إنا أعتدنا جهنم للكافرين }[3] ثم ســـأله السائل عمن سئل : أنت مؤمن ؟ فقال : الله أعلم ، فهنا حكم أبو حنيفة أنه شـــاك في إيمانه ، ولما أراد السائل الحكم عليه بالنفاق لأن الناس إما مؤمن وإما منافق وإما كـــافر . ولكن أبو حنيفة نفى أن يكون الشاك في إيمانه منافقا واستدل بحديث يأتي ذكره .

---

[1] . سورة الزمر الآية (٧١) .

[2] . سورة التغابن الآية (١٠) .

[3] . سورة الكهف الآية (١٠٢) .

تنبيه : يستدرك على أبي حنيفة هنا أنه قد يقول المسؤول عن إيمانه الله أعلم ، ويكون مراده ليس الشك في إيمانه ، ولكن يريد عدم تزكية النفس وقد يريد رد العلم إلى الله باعتبار ما يصير إليه ، فإن الأعمال بالخواتيم ، والمآل مرده إلى الله ، وقد يقول الرجل إنه مؤمن وهو عند الله تعالى من أهل النار ، وقد يريد أنه ليس مستوفيا لكل شعب الإيمان إذ لا ينفك الإنسان عن القصور والنقص ، ومن هنا أجاز جماعة من أهل العلم أن يقول الإنسان عن نفسه : أنا مؤمن إن شاء الله . ليس على سبيل الشك في الإيمان ، ولكن باعتبار ما سبق الكلام عنه .

قال معاذ : ما يبكيك يا حارث ؟ قال : ما يبكيني موتك ، قـــد علمـــت أن الآخرة خير لك من الأولى ، لكن من المعلم بعدك ؟ويروى : من العلم بعدك ؟ قـال : مهلاً وعليك بعبد الله بن مسعود . فقال له : أوصني . فأوصاه بما شاء الله ثم قـــال : احذر زلة العالم . قال : فمات معاذ وقدم الحارث الكوفة إلى أصحاب عبد الله بـــن مسعود فنودي بالصلاة فقال الحارث : قوموا إلى هذه الدعوة ، حق لكل مؤمن سمعه أن يجيب ، فنظروا إليه وقالوا : إنك لمؤمن . قال : نعم إني لمؤمن . فتغامزوا به ، فلما خرج عبد الله قيل له ذلك فقال للحارث مثل قولهم ، فنكس الحارث رأسه وبكـــى ، وقال : رحم الله معاذاً فأخبر به ابن مسعود ، فقال له : إنك لمؤمن ؟ قال : نعـــم . قال : فتقول إنك من أهل الجنة ؟ قال رحم الله معاذاً ، فإنه أوصاني أن أحذر زلـــة العالم والأخذ بحكم المنافق . قال :

اللغة : (عليك) الزم .(احذر) توق واجتنب . (زلة) خطأ وعثرة ، وذلـــك لأن زلة العالم يزل بها ناس كثير . (تغامزوا به) أشار بعضهم إلى بعض بالأعين أو الأيـدي . (نكس) خفض وطأطأ .

الشرح : ثم شرع أبو حنيفة في الاستدلال لقوله فذكـــر بســـنده أن الحـــارث صاحب معاذ بن جبل بكى عند موت معاذ وسأله عن العالم بعده ، فأوصاه بعبد الله بـن مسعود رضي الله عنه وحذره من زلة العالم ، فلما قدم الحارث الكوفة لقي أصحاب ابن مسعود ، ثم سمع المنادي للصلاة فصاح بالناس لإجابة المنادي ، فاستغربوا ذلـــك منـه وقالوا له أنت مؤمن ؟ فقال : نعم إني لمؤمن ، فجزم بذلك يقيناً ، ولما سمع القوم ذلـــك منه تغامزوا به ، فلما حضر ابن مسعود رضي الله عنه حكوا له كلام الرجل فاســـتغرب ذلك منه واستنكره ، فخفض الحارث رأسه وبكى ، واسترحم على معاذ بن جبل رضـي الله عنه ، وهنا سأله ابن مسعود هل يجزم بإيمانه ؟ فجزم الحارث بإيمانه ، فســـأله ابـــن مسعود عما إذا كان يجزم لنفسه بالجنة ، وذلك لأن الجزم بالإيمان الكامل الصحيح علـى

الوجه المقبول يلزم منه الجزم بالجنة ، فإن الله تعالى يدخل الجنة المؤمنين الصادقين المستوفين لشعب الإيمان الطائعين لله ، ولا يدخلهم النار هكذا بغير سبب من معصية غالبة أو غيرها ، وهنا استرحم الحارث على معاذ وذكر تحذيره له من زلة العالم أي خطأه ومن أن يأخذ بحكم منافق .

فهل من زلة رأيت ؟ قال : نشدتك بالله ،أليس النبي ﷺكان والناس يومئذ على ثلاث فرق : مؤمن في السر والعلانية ، وكافر في السر والعلانية ، ومنافق في السر ومؤمن في العلانية ، فمن أي الثلاث أنت ؟ قال : أما إذا ناشدتني بالله فإني مؤمن في السر والعلانية . قال : فلم لمتني حيث قلت : إني لمؤمن ؟ قال : أجل . هذه زلتي فادفنوها علي ، فرحم الله معاذاً . قلت لأبي حنيفة رحمه الله : فمن قال إني من أهل الجنة ؟ قال : كذب . لا علم له به .

اللغة : (نشدتك) يقال نشده بكذا أي ذكره به واستعطفه (ادفنوها علي) اكتموها عني .

الشرح : فاستغرب ذلك ابن مسعود رضي الله عنه وسأله :هل رأيت زلة ؟وهنا نشده الحارث بالله من أي الفرق هو ؟من المؤمنين ظاهراً وباطناً ،أم من الكفار ظاهراً وباطناً أم من المنافقين ؟فأجابه ابن مسعود أنه من المؤمنين ،وهنا سأله الحارث عن سبب لوم ابن مسعود له عندما جزم لنفسه بالإيمان ،فرجع ابن مسعود عن قوله إلى قول الحارث واسترحم على معاذ بن جبل رضي الله عنه[1] .

تنبيه : أقول : هذه القصة تنافي عقيدة السلف في جواز الاستثناء في الإيمان ،ولكنها لا حجة فيها لأنها لم تصح من جهة إسنادها [2]،فالصواب أن يقول المؤمن إذا سئل :أنا مؤمن إن شاء الله ،احترازاً عن التزكية وتفويضاً لعلم المآل والمصير إلى الله تعالى ،وليس على سبيل الشك في إيمانه ،وإنما مشاهدة التقصير في كمال الإيمان وهنا سأل أبو مطيع أبا حنيفة رحمه الله عن حكم من قال إنه من أهل الجنة جازماً بذلك ،فرد الإمام بأنه كاذب لأن هذا مما استأثر الله بعلمه ،والواجب ألا يجزم المسلم لنفسه أو لغيره من المسلمين بجنة أو نار ،فالأول أمن من مكر الله ،وقد قال تعالى : {فلا يأمن مكر الله

[1] . انظر جامع المسانيد (١٣٣/١) بنحوه .

[2] . ولكن صح نحوها عن أبي مسلم الخولاني كما في السلسلة الضعيفة تحت الحديث رقم ١٧٠٠ المجلد الرابع .

إلا القوم الخاسرون ﴾[1] والثاني قنوط من رحمة الله وقد قال تعالى : ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ﴾[2] والمسلم يعلم أن المآل والمصير في الآخرة غيب مرده إلى الله تعالى ،لا يجزم أحد من المسلمين فيه بشيء .

الخلاصة :

الاستثناء في الإيمان بغرض التحرز من التزكية يجوز وأما على معنى الشك فلا يجوز بحال .

المناقشة :

س١ ــ هل يجوز الاستثناء في الإيمان ؟

س٢ ــ ما حكم من شك في إيمانه ؟

---

[1] . سورة الأعراف الآية (٩٩) .

[2] . سورة الحجر الآية (٥٦) .

المؤمن قد يعذب بذنوبه

قال : والمؤمن من يدخل الجنة بالإيمان فيعذب في النار بالأحداث .قلت :فإن قال :إنه من أهل النار ؟ قال:كذب لا علم له به ،قد يئس من رحمة الله تعالى قال أبو حنيفة رحمه الله :ينبغي أن يقول :أنا مؤمن حقا .لأنه لا يشك في إيمانه قلت :أيكون إيمانه كإيمان الملائكة ؟قال :نعم .قلت وإن قصر عمله فإنه مؤمن حقا قال :فحدثني بحديث حارثة أن النبي ﷺ قال له :كيف أصبحت ؟قال :أصبحت مؤمنا حقا .قال: انظر ما تقول فإن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟فقال :عزفت نفسي عن الدنيا حتى أظمأت نهاري و أسهرت ليلي ،فكأني أنظر إلى .

اللغة : (أيس) يئس (عزفت) يقال عزف عن كذا أي رغب عنه وزهد فيه .

الشرح : ثم بين أبو حنيفة أن المؤمن يدخل الجنة بإيمانه ،أي بسبب إيمانه ،ولكن الفضل لله تعالى أولا وآخرا .وإن عذب بالنار فإنه يعذب بالأحداث _ أي بذنوبه _ ثم سأله السائل عن من قال إنه من أهل النار ؟ فجزم أبو حنيفة بكذبه لأنه غيب لا يعلمه إلا الله ،وفيه يأس من رحمة الله ،وقد قال تعالى :{ إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون }[1] ثم قال بأنه يجب عليه أن يقول :أنا مؤمن حقا .لأنه لا يشك في إيمانه

تنبيه : قلت :الاستثناء ليس معناه الشك كما تقدم ،وكلام أبي حنيفة رحمه الله مباين لما عليه جماهير السلف .

وهنا سأله السائل هل يكون إيمانه كإيمان الملائكة من عبادة الله ،حيث قال الله عنهم :{ يسبحون الليل والنهار لا يفترون }[2] ،فجزم أبو حنيفة بأن إيمانه كإيمان الملائكة سواء بسواء ،قلت :هذا مما شذ به أبو حنيفة عن أئمة أهل السنة إذ لا يعقل أن

---

[1] . سورة يوسف الآية (٨٧) .

[2] . سورة الأنبياء الآية (٢٠) .

يكون إيمان الفسقة كإيمان الملائكة .ثم لما استغرب السائل ذلك استدل له أبــو حنيفــة رحمه الله بحديث حارث بن مالك لما حدثه النبي ﷺ :كيف أصبحت يا حارثة فقـــال أصبحت مؤمناً حقاً فقال له النبي ﷺ : انظر ما تقول فإن لكل حق حقيقة فما حقيقــة إيمانك ؟ أي فما برهان إيمانك ؟ فقال :زهدت نفسي في الدنيا حتى أظمــأت نهــاري بالصيام وأسهرت ليلي بالقيام ،وكأنما أنظر عرش ربي ،وكأنما أنظر

عرش ربي ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر إلى أهل النار حين يتعاوون فيها ،فقال رسول الله ﷺ أصبت فالزم . أصبت فالزم ثم قال :من سره أن ينظر إلى رجل نور الله قلبه فلينظر إلى حارثة .ثم قال : يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة فدعا له بها فاستشهد .

اللغة : (يتزاورون) يزور بعضهم بعضا (يتعاوون) يصيحون ويضجون (أصبت) عرفت الحق والصواب .

الشرح : إلى عرش ربي ظاهرا أمامي ،وكأني أرى أهل الجنة يتزاورون فيها أمامي وكأنما أنظر إلى أهل النار يصرخون فيها ويصيحون ،وهنا قال له النبي ﷺ:أصبت فالزم _أي عرفت الحق ووصلت إلى حقيقة الإيمان ودرجة اليقين فالزم ما أنت عليه _ ثم قال من سره أن ينظر إلى رجل نور الله قلبه فلينظر إلى حارثة ،فطلب منه حارثة أن يدعو له بالشهادة ففعل فاستشهد فعلا [1] .

تعليق : لقد استدل أبو حنيفة رحمه الله بهذا الحديث _ حديث حارثة _ على استواء المؤمنين في الإيمان وعلى جواز أن يقول الرجل :أنا مؤمن حقا ،وما أجمل هذا الاستدلال منه رحمه الله ،لو كان الحديث صحيحا ،لكنه لم يصح بحال ،بل إن عامة أهل العلم قد صرحوا بعدم صحة حديث حارثة ،ومن المعلوم أن الاستنباط والتأويل كلها فرع للتصحيح ، وما دام الحديث لم يصح ،فليس هناك مجال للاستدلال به في أي أمر .

[1] . أخرجه الطبراني في الكبير (٣٠٢/٣) حديث ٣٣٦٧ من حديث محمد بن أبي الجهم عن الحارث بن مالك به والبزاز (٢٦/١) حديث ٣٢ (كشف الأستار) من حديث ثابت عن أنس وقال البزاز : تفرد به يونس وهو لين الحديث . قال الهيثمي في المجمع (٥٧/١) وفيه ابن لهيعة وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه ونسبه في كتر العمال (٣٥٢/١٣ : ٣٥٤) لأبي نعيم وابن عساكر والعسكري في الأمثال وابن النجار ويوسف بن عطية مجمع على ضعفه . قال الذهبي في الميزان : (٤٦٩/٤) ومن مناكيره : ... وذكر هذا الحديث وقد أورد ابن حجر في الإصابة (١٧٥/١٧٤) هذا الحديث وقال : قال البيهقي : هذا منكر وقد خبط فيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف جدا . قلت : وبناء على هذا لا يصح الاستدلال والاحتجاج به فبطل ما بني عليه من تحريم الاستثناء وجواز القول أنا مؤمن حقا .

قلت :فما بال أقوام يقولون لا يدخل المؤمن النار قال لا يدخل النار إلا كل مؤمن قلت :والكافر ؟قال :هم يؤمنون يومئذ .قلت :وكيف ذلك؟ قال :لقوله تعالى {فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين .فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا } الآية .قال أبو حنيفة رحمه الله :من قتل نفسا بغير حق أو سرق أو قطع الطريق أو فجر أو فسق أو زنى أو شرب أو سكر فهو مؤمن فاسق وليس بكافر .

اللغة : (فما بال) :فما شأن (بأسنا) قوتنا وعذابنا الشديد (فجر) فجر وفسق بمعنى الخروج على الحق والشرع .

الشرح : ثم سأل السائل أبا حنيفة رحمه الله عما يقوله بعض الناس من أن المؤمن لا يدخل النار ،فأجابه أبو حنيفة بأن النار لا يدخلها إلا كل مؤمن ،فاستغرب السائل ذلك ،وسأل أبا حنيفة عن الكفار ،فأجابه بأنهم يؤمنون يوم القيامة حينما يعاينون العذاب ،ولكن هذا الإيمان لا ينفعهم ، وهم إنما يدخلون النار بسبب كفرهم في هذه الدنيا ، والإنسان يحاسب يوم القيامة على ما عمل في هذه الدنيا ، واستدل أبو حنيفة رحمه الله بقوله تعالى :{فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا }[1] فهذه الآية واضحة في أن الكفار يؤمنون عندما يعاينون العذاب ، لكنه إيمان لا ينفع كما لا تنفع التوبة عند الموت،قال تعالى: { وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما }[2] . ثم بين أبو حنيفة رحمه الله تعالى

[1] . سورة غافر الآيتان (٨٤: ٨٦) .

[2] . سورة النساء الآية (١٨) .

أن المسلم إذا ارتكب كبيرة من الكبائر كأن يقتل نفسا بغير حق أو يسرق ما ليس لـه أو يقطع طريق الناس أو يسرق أو يفجر أو يزني أو يشرب الخمر أو يسكر ففي كل هـــذه الحالات هو مؤمن فاسق ، أي يخرج على تعاليم الشرع ، فإن الفسوق هو الخروج علـى أمر الله ، ولكن المسلم لا يكفر بالمعصية ، والله تعالى قد قدر لهذه المعـــاصي عقوبـــات بالحد أو بالتعزير ، لكنه لم يكفر المسلم بالمعصية ، و لم يقم عليه بها حد الردة ، وكـــل النصوص الشرعية من الكتاب والسنة صريحة في أن المسلم لا يكفر بالمعصية .

وإنما يعذبهم بالأحداث في النار ، ويخرجهم منها بالإيمان ، قال أبو حنيفة رحمه الله : من آمن بجميع ما يؤمن به إلا أنه قال : لا أعرف موسى وعيسى أ مرسلان هما أم غير مرسلين فهو كافر ، ومن قال : لا أدري الكافر أهو في الجنة أو في النار فهو كافر ، لقوله تعالى : { والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا } وقال : { ولهم عذاب الحريق } وقال الله تعالى : { ولهم عذاب شديد } . وقال أبو حنيفة

اللغة : (بالأحداث) أي بالذنوب .

الشرح : والله تعالى يعذب المؤمنين في النار إن عذبهم ، بسبب ما أحدثوه من الذنوب والمعاصي ، ثم يخرجهم منها بسبب إيمانهم ، كما قال النبي ﷺ : " يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان "[1] وهذا ما يؤمن به أهل السنة والجماعة أن الخلود في النار ليس لأهل التوحيد وإذا عذبوا في النار بذنوبهم فإنهم يخرجون منها بإيمانهم .

ثم بين أبو حنيفة رحمه الله أن الذي يؤمن بجميع أصول الإيمان كلها ، ولكنه شك في رسالة موسى وعيسى عليهما السلام فإنه يكفر وذلك لأنه شك في كلام الله ، فإن القرآن أثبت رسالتهما حيث قال تعالى في حق موسى : { ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وملئه . . }[2] وقال في حق عيسى : { رسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم }[3] وكذلك من قال لا أعرف الكافر في النار أو في الجنة فإنه يكفر لأنه شك في كلام الله تعالى ، فإن الله عز وجل قد بين في كتابه بياناً

---

[1] . البخاري (١٢٧/١) ح ٤٤ في الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه ومسلم (١٨٢/١) ح ١٩٣ في الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها كلاهما من حديث قتادة عن أنس مرفوعاً .

[2] . سورة هود الآيتان (٩٦، ٩٧)

[3] . سورة آل عمران الآية (٤٩) .

واضحاً أن مصير الكفار إلى جهنم ، كما قال تعالى : { والذين كفروا لهم نار جهنم }[1]
وقال : { ولهم عذاب الحريق }[2] وقال : { لهم عذاب شديد }[3] .

[1] . سورة فاطر الآية (٣٦) .

[2] . سورة البروج الآية (١٠) .

[3] . سورة الشورى الآية (٢٦) .

رحمه الله : بلغني عن سعيد بن المسيب أنه قال :" من لم ينزل الكفار منـــزلهم من النار فهو مثلهم " قلت : فأخبرني عمن يؤمن ولا يصلي ولا يصوم ولا يعمل شيئاً من هذه الأعمال هل يغني إيمانه شيئاً ؟ قال : هو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه .

اللغة : (ينـــزل الكفار منـــزلهم) أي يحكم لهم بهذا المصير . (يغني) ينفع .

الشرح : ثم أخبر أبو حنيفة رحمه الله بما بلغه عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنـــه قال : من لم ينـــزل الكفار منـــزلهم من النار فهو مثلهم [1]، ومعنى ذلك أن المسلم يجـــب أن يحكم للكفار بالنار كما حكم الله لهـــم بذلـــك حيـــث قـــال تعـــالى :{ **وعقبى الكافريـــن** النار }[2] فلمن لم يحكم لهم بالنار فقد نفى ما أثبت الله في كتابه ، ولم يثبتـــه فهو كافر ، ومن شك في مآلهم فقد شك في وعد الله الحق فهو كافر كذلـــك ، وهـــذا معنى كلام سعيد بن المسيب ، وبعد ذلك سأل السائل أبا حنيفة رحمه الله عن الذي آمن تصديقاً وإقراراً لكنه تأخر عن العمل ، فلا يصلي ولا يصوم ولا يأتي بشيء من الأعمـــال الواجبة عليه شرعاً ، هل ينفعه ذلك الإيمان ، الذي هو مجرد الإقرار والتصديق ؟ وهـــل يغني عنه ذلك شيئاً أمام الله تعالى ؟ فقال أبو حنيفة رحمه الله : هو في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له .

تنبيه : لأهل السنة مذهبان في حكم تارك الصلاة :

الأول : أنه مرتد خارج عن الملة ، فالصلاة مستثناة من بقية الأعمال في بـــاب التكفير ، وعلى هذا أحمد وإسحاق وغيرهما .

---

[1] . لم أقف عليه .

[2] . سورة الرعد الآية (٣٥) .

والثاني : أنه فاسق وليس بكافر ، وهو مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي ، ومن حججهم أن الصلاة من الأعمال ولا يكفر المرء بترك الأعمال ، والفرق بينهم وبين المرجئة ، أن المرجئة يقولون : لا يكفر ولا ينقص إيمان بترك الصلاة ، لأن الصلاة من الأعمال ، والأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان ، وهؤلاء يقولون ليس بكافر ولكنه ناقص الإيمان بترك الصلاة ، ما عدا أبا حنيفة فإرجاؤه إرجاء فقهاء .

أثر معاذ

وقال :من لم يجحد شيئاً من كتابه فهو مؤمن قال أبو حنيفة :حدثني بعض أهل العلم أن معاذ بن جبل رضي الله عنه لما قدم مدينة حمص اجتمعوا إليه ، وسأله شاب فقال : ما تقول فيمن يصلي ويصوم ويحج البيت ويجاهد في سبيل الله تعالى ويعتق ويؤدي زكاته غير أنه يشك في الله ورسوله ؟ قال : هذا له النار . قال فما تقول فيمن لا يصلي ولا يصوم ولا يحج البيت ولا يؤدي زكاته غير أنه مؤمن بالله ورسوله؟ قال :أرجو له وأخاف عليه . فقال الفتى : يا أبا عبد الرحمن كما أنه لا ينفع

اللغة : (يعتق) يحرر رقاب العبيد .

الشرح : وذكر أبو حنيفة رحمه الله أن من لم يجحد — أي ينكر — شيئاً من كتاب الله تعالى فهو مؤمن ، وذلك بناء على أصله من أن الإيمان مجرد التصديق والإقرار ثم ذكر أبو حنيفة ما بلغه أن معاذاً رضي الله عنه سأله أهل حمص شاب منهم ، عمن يصلي ويصوم ويحج ويجاهد ويعتق ويزكي ، لكنه شك في الله ورسوله ؟ فجزم له معاذ بالنار ، وهذا هو الحق لأنه لما شك في الله ورسوله كفر بهذا الشك لأن الإيمان لا يكون إلا بالتصديق الجازم مع الإقرار والعمل ، وقد قال تعالى : { إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ثم لم يرتابوا }[1] وقال تعالى : { أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون }[2] ، فالكافر له النار ، ثم ساله الشاب عمن لا يأتي بالعمل ، فلا يصلي ولا يصوم ولا يحج ولا يزكي لكنه مؤمن بالله ورسوله ؟ والمقصود بإيمانه هنا مجرد تصديق القلب وإقرار اللسان فبين له أنه يرجو له النجاة بإيمانه ويخاف عليه العذاب بسبب تركه العمل الواجب عليه ،وهنا قال الشاب لمعاذ :إذا كان لا ينفع

---

[1] . سورة الحجرات الآية (١٥) .

[2] . سورة النور الآية (٥٠) .

مع الشك عمل فكذلك لا يضر مع الإيمان شيء . ثم مضى الفتى فقال معاذ : ليس في هذا الوادي أحد أفقه من هذا الفتى[1] ، قال أبو حنيفة : فقاتل أهـل البغـي بالبغي لا بالكفر ، وكن مع الفئة العادلة والسلطان الجائر ولا تكن مع أهل البغي .

اللغة : (الشك) الارتياب . (أفقه) أعلم . (البغي) المقصود به هنا الخروج علـى الإمام . (الجائر) الظالم .

الشرح : العمل مع وجود الشك ، فكذلك التصديق مع الإقرار فلا يضر معهما شيء من الذنوب ، ولا يضر معهما ترك العمل ، وهنا جزم معاذ رضي الله عنه بأنه ليس في ذلك المكان أفقه من ذلك الشاب .

تنبيه : أقول : هذه الرواية غير ثابتة السند ، فلا تكون حجة على الإطـلاق ، ثم قوله : لا يضر مع الإيمان شيء ، قول غلاة المرجئة ، ولا يظن بأبي حنيفة أن يقول بذلك فضلاً عن معاذ بن جبل رض الله عنه ، والله أعلم .

ثم بين أبو حنيفة رحمة الله أن قتال أهل البغي يكون بسبب بغيهم ، كما قـال تعالى : { فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله .. إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم } فأوجب قتالهم ، ومع ذلك لم ينف عنهم أخوة الدين ، فدل علـى أنهـم يقاتلون لبغيهم وليس لكفرهم ، ثم أمر أبو حنيفة سائله أن يكون مع الفئة العادلة ولـو كان إمامها جائرا أو فاسقا في نفسه ما دام لم يخرج من الملة ، و لم تنتقض بيعته ، فـإن فئته هي الفئة العادلة ، ونهاه عن أن يكون مع الفئة الباغية الخارجة عن طاعة الإمـام ، وبرر أبو حنيفة رحمه الله .

---

[1] . انظر جامع المسانيد (١/١٦٠) للخوارزمي بنحوه .

فإن كان في أهل الجماعة فاسدون ظالمون ، فإن فيهم أيضا صالحين يعينونك عليهم ، وإن كانت الجماعة باغية فاعتزلهم واخرج إلى غيرهم ، قال تعالى : { ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها } وقال أيضا : { إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون } .

اللغة : (فاسدون) فاسقون غير صالحين . (فاعتزلهم) فارقهم .

الشرح : ذلك بأن الجماعة العادلة إذا وجد فيها فاسدون أو ظالمون ، فإن فيهم أيضا صالحين يعينون على إصلاح الفاسدين ، وتحمل فسادهم ، وأما إذا كانت الجماعة باغية فالواجب اعتزالهم ومفارقتهم و اللحوق بغيرهم من أهل العدل ، واستدل بقوله تعلى : { ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها }[1] وبقوله : { إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون }[2] فليس هنا عذر لأحد في لحوقه بجماعة البغي الخارجة على الإمام ، لأنهم لو تسلطوا حتى على البلد فإن أرض الله واسعة ، ويمكن الهجرة منها إلى غيرها .

الخلاصة :

يجب على الإنسان أن يكون دائما مع الإمام العدل وطائفته وألا يخرج عليهم ، وكذلك لا يشك في إيمانه .

المناقشة :

س١ـ من هو الإمام العدل ؟

س٢ـ ما حكم الخروج عليه ؟ ومع أي طائفة يجب أن يكون الإنسان ؟

---

[1] . سورة النساء الآية (٩٧) .

[2] . سورة العنكبوت الآية(٥٦) .

وجوب الهجرة إلى الله

قال أبو حنيفة رحمه الله : حدثنا حماد عن إبراهيم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنهم قال : قال رسول الله ﷺ " إذا ظهرت المعاصي في أرض فلم تطق أن تغيرها فتحول عنها إلى غيرها فاعبد بها ربك "[1] . وقال : حدثني بعض أهل العلم عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: من تحول من أرض يخاف الفتنة فيها إلى أرض لا يخافها فيها كتب الله له أجر سبعين صديقاً "[2]

اللغة : (لم تطق) لم تستطع . (تحول) انتقل . (الفتنة) البلاء في الدين والمعاصي . (صديقاً) هو الدائم التصديق .

الشرح : ثم ذكر أبو حنيفة رحمه الله ما بلغه من حديث ابن مسعود مرفوعاً أن النبي ﷺ قال : " إذا ظهرت المعاصي في أرض .. " ومعنى ذلك أن الإنسان إذا ظهرت المعصية في بلده أو في بلد هو فيها فعليه أن يغيرها ما استطاع ، كما قال ﷺ : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان "[3]. لكن من لم يستطع أن يغير هذه المنكرات والمعاصي ويمنعها فعليه أن يتحول من البلد الذي فيه المعاصي إلى بلد آخر تظهر الطاعة والسنة فليعبد الله فيه ، فإن ذلك عون له على طاعة ربه عز وجل .

وذكر أيضاً ما بلغه عن بعض الصحابة رضي الله عنهم : " من تحول إلى أرض .." ويعني أن الإنسان الذي يخاف الفتنة في دينه في أرض معينة ، ثم يتحول منها إلى أرض لا يخاف فيها الفتنة في الدين ، فهذا في الحقيقة إنما هو مهاجر إلى الله تعالى ،

---

[1] . لم أقف عليه .

[2] . لم أقف عليه .

[3] . أخرجه مسلم (٦٩/١) ح ٤٩ في الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان من حديث طارق بن شهاب عن أبي سعيد مرفوعاً .

وقد قال عز وجل : { ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله }[1] وهذا يعطيه الله أجر سبعين صديقا .

[1] . سورة النساء الآية (١٠٠) .

قال أبو حنيفة : من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفـــــر ، وكذا من قال إنه على العرش و لا أدري العـــرش أفي الســـماء أو في الأرض ، والله تعالى يدعى من أعلى لا من أسفل لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهيـــة في شيء ، وعليه ما روي في الحديث أن رجلاً أتى إلى النبي ﷺ بأمة ســــوداء فقـــال : وجب علي عتق رقبة أفتجزىء هذه ؟ فقال لها النبي ﷺ أ مؤمنة أنت ؟ فقالت : نعم . فقال : أين الله ؟ فأشارت إلى السماء . فقال : أعتقها فإنها مؤمنة[1] .

اللغة : (أمة) جارية مملوكة (تجزىء) تكفي (أعتقها) حررها .

الشرح : ثم بين أبو حنيفة رحمه الله أن من قال : لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فإنه يكفر وذلك لأنه مكذب بعلو الله على خلقه ، جاحد لقوله تعـالى { ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض }[2] ولقوله تعالى : {وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً }[3].فقد كذب فرعون موسى حينما أخبره أن إلهه في السماء ، وكذلك كفر أبـــو حنيفة من قال بأن الله مستو على عرشه لكنه قال لا أعرف العـــرش في الســـماء أم في الأرض فإن العلو هو الوصف اللائق بالربوبية وبالألوهية وليس السفل من وصفـــهما في شيء ، وهذا الكلام من الإمام أبي حنيفة رحمه الله فيه رد بليغ علـــى المتكلمـــين مـــن الماتريدية وغيرهم ، الذين يتعصبون لأبي حنيفة ويقلدونه في الفروع ، لكنهم يخالفونـه في

---

[1] مسلم (٣٨١/١) ج ٥٣٧ في المساجد باب تحريم الكلام في الصلاة ، وأحمـــد (٤٤٨/٥) وأبـــو داود (٥٨٧/٣) ج٣٢٨٢ في الإيمان والنذور باب في الرقبة المؤمنة ، ولنسائي (١٨/١) في الصلاة باب الكلام في الصلاة وغيرهم ، كلهم من طريق عطـــاء عـــن معاوية بن الحكم به .

[2] . سورة الملك الآية (١٦)

[3] . سورة غافر الآيتان (٣٧:٣٦)

مسائل أصول ،فينفون صفة العلو لله تعالى ويقولون :" أن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوق ولا تحت ، بل هو في كل مكان ..." إلخ وكلامهم هذا كفر صريح . ومن الأدلة على ذلك أن كل من أراد الدعاء فإنه يرفع يديه لأعلى لما فطر عليه من الإيمان بوجود الله في السماء ، وقد أتت جارية إلى النبي ﷺ مع سيدها ، وأخبر سيدها أنه وجب عليه عتق رقبة ، فسألها النبي ﷺعن ما إذا كانت مؤمنة فأشارت بالإيجاب فسألها : أين الله ؟ فأشارت إلى السماء فقال لها : من أنا ؟ قالت رسول الله ، فقال : أعتقها فإنها مؤمنة . فشهادة النبي ﷺلها بالإيمان مع قولها إن الله في السماء دلالة واضحة على إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لها في ذلك ولو لم يكن صواباً ما أقر لها بالإيمان مع وجود اعتقاد فاسد .

إثبات عذاب القبر

قال أبو حنيفة : من قال : لا أعرف عذاب القبر فهو من الجهمية الهالكة لأنه أنكر قوله تعالى : { سنعذبهم مرتين }[1] يعني عذاب القبر . وقوله تعالى : { وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك }[2] يعني في القبر فإن قال : أؤمن بالآية ولا أؤمن بتأويلها وتفسيرها ، قال : هو كافر لأن من القرآن ما هو تنزيله تأويله ، فإن جحد بها فقد كفر . قال أبو حنيفة رحمه الله : حدثني رجل عن المنهال بن عمرو عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : " شرار أمتي يقولون : أنا في الجنة دون النار "[3] .

اللغة : (الجهمية) أتباع الجهم بن صفوان (تأويله) تفسيره (جحد بها) أنكرها.

الشرح : ثم بين الإمام أبو حنيفة رحمه الله أن من أنكر عذاب القبر وجحده فهو من الجهمية الهالكة حيث أنه منكر لقوله تعالى : { سنعذبهم مرتين } ولقو له تعالى { وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك } وغيرها وكلها دالة على عذاب القبر ، وكذلك كفر رحمه الله من قال أنا أؤمن بالآية ولا أؤمن بتأويلها وتفسيرها ، وبين ذلك أن من القرآن أشياء تفسيرها وتأويلها هو مجرد التنزيل بذاته ، فمن أنكرها فقد كفر ، ثم أورد رحمه الله حديثاً عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : " شرار أمتي يقولون أنا في الجنة دون النار " وذلك لأنهم امنوا مكر الله تعالى حيث قال :{فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون }[4] . ولا يعلم إنسان ما أعد له في علم الغيب عند الله تعالى .

---

[1] سورة التوبة الآية (١١٠) .

[2] سورة الطور الآية (٤٧) .

[3] لم أقف عليه .

[4] سورة يوسف الآية (٩٩) .

تحريم التألي على الله

وحدثت عن أبي ظبيان قال : قال رسول الله ﷺ: " ويل للمتألين من أمتي قيل يا رسول الله وما المتألون ؟ قال : الذين يقولون : فلان في الجنة وفلان في النار "[1] . وحدثت عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ: " لا تقولوا أمتي في الجنة ولا في النار دعوهم حتى يكون الله يحكم بينهم يوم القيامة "[2] قال : وحدثني أبان عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: " يقول الله عزوجل : لا تنزلوا عبادي جنة ولا ناراً حتى أكون أنا الذي أحكم فيهم يوم القيامة وأنزلهم منازلهم "[3] قلت : فأخبرني عن القاتل والصلاة خلفه ؟ فقال : الصلاة خلف كل بر وفاجر جائزة فلك أجرك .

اللغة : (لا تنزلوا عبادي) لا تجزموا لهم بالجنة أو النار

الشرح : وذكر أبو حنيفة رحمه الله ما بلغه أن النبي ﷺ قال : " ويل للمتألين من أمتي ... " ويقصد بذلك الذين يجزمون لأحد معين بالجنة أو بالنار، وذلك كما قال النبي ﷺ حكاية عن رجل قال في حق آخر : " والله لا يغفر الله لفلان . فقال الله تعالى : من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان قد غفرت له وأحبطت عملك "[4] . وذكر ما بلغه من حديث بن عمر في شأن النهي عن الجزم لأحد بجنة أو نار، والأمر بالسكوت عن مصائر الناس حتى يفصل الله بينهم يوم القيامة ، فينزل الجنة من شاء وينزل النار من شاء ، وذكر كذلك ما بلغه عن الحسن أن النبي ﷺ روى عن ربه تعالى النهي عن الجزم لأحد بجنة أو نار حتى يكون الله هو الذي يحكم في شأنهم يوم القيامة وينزلهم منازلهم من الجنة أو النار ، وهنا سأله السائل عن الصلاة خلف القاتل ، فأخبره أن

---

[1] لم أقف عليه .

[2] لم أقف عليه .

[3] لم أقف عليه ، لكنه مرسل كما ترى ، والمرسل من أنواع الحديث الضعيف .

[4] مسلم (٤/٢٠٢٣) ح٢٦٢١ في البر والصلة والآداب باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى من حديث أبي عمران الجوني عن جندب مرفوعاً .

الصلاة خلف القاتل وغيره من الفجار جائزة ، والأصل جواز الصلاة خلف كـــــل بـــر وفاجر من أهل القبلة ، وعلى من مات منهم "، وهذا لأن من صحت صلاته لنفسه جاز الائتمام به ، فلك أجرك على صلاتك .

وعليه وزره . قلت : أخبرني عن هؤلاء الذين يخرجون على الناس بسيوفهم فيقاتلون وينالون منهم ؟ قال : هم أصناف شتى وكلهم في النار . قال: روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : " افترقت بنو اسرائيل اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي ثلاثة وسبعين فرقة كلهم في النار إلا السواد الأعظم " قال : وحدثني حماد عن ابراهيم ابن مسعود قال :قال رسول الله ﷺ : " ومن أحدث حدثاً في الإسلام فقد هلك ومن ابتدع بدعة فقد ضل ومن ضل ففي النار ".

اللغة : (شتى) متعددة ومتنوعة (السواد الأعظم) معظم الناس والمراد الزموا ما عليه معظم الناس .

الشرح : وعليه هو وزر بدعته أو معصيته ، ثم سأله السائل عن الخوارج الذين خرجوا على الناس بسيوفهم فقاتلوهم ونالوا منهم،فأخبره أنهم وإن كانوا فرقا شتى لكن كلهم في النار ، وليس هذا منه تناقضا مع كلامه السابق حول عدم الجزم لأحد بجنة أو نار ، ولكن الذي حكم لهم بالنار هو النبي ﷺ في أحاديث صحيحة ، ثم استدل بحديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه الخبربافتراق بني اسرائيل على اثنتين وسبعين فرقة،وافتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، والجزم لها كلها بالنار إلا السواد الأعظم وهذا إن صح ـــ أعني تفسير الفرقة الناجية بالسواد الأعظم ـــ فإنما يقصد به جماعة الحق من أهل العلم ، أو عامة المسلمين من غير الفرق المذكورة والأول أصح والله أعلم .

ثم ساق حديث ابن مسعود مرفوعا في بيان أن من أحدث حدثا في الإسلام فقد هلك وذلك بابتداعه في الدين ما لم يأذن به الله تعالى وإعطائه لنفسه حق التشريع في دين الله بغير علم ، وكذلك في بيان أن من ابتدع بدعة فقد ضل بإعراضه عن السنة التي سنها رسول الله ﷺ،ولما ضل عن الحق كان مستحقا للنار عقوبة على ضلاله .

الخلاصة :

العلو صفة ثابتة لله تعالى ، وعذاب القبر حق ، ولا يجوز التألي على الله تعـــالى ، كما يحرم الافتراق في الدين والتقاتل .

المناقشة :

س١ــ كيف تثبت صفة العلو لله ؟ وما معناه ؟

س٢ــ ما الدليل على أن عذاب القبر حق ؟

س٣ــ ما معنى التألي على الله ؟ وما حكمه ؟

س٤ــ هل يجوز التقاتل والافتراق في الدين ؟

حدثنا ميمون عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله علمني . قال : " فاذهب فتعلم القرآن . ثلاث . ثم قال له في الرابعة : اقبل الحق ممن جاءك به حبيباً كان أو بغيضاً وتعلم القرآن ومل معه حيث مال "[1].

قال وحدثنا حماد عن ابراهيم عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول : " إن شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار"[2]وقال الله تعالى { فألهمها فجورها وتقواها }[3] وقال الله تعالى لموسى على سيدنا ونبينا وعليه الصلاة والسلام : { فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري }[4]

اللغة : (بغيضاً) مكروهاً (مل معه حيث مال) أي أتبعه على كل حال .

الشرح : ثم ساق أبو حنيفة حديث ابن عباس أن رجلاً سأل النبي ﷺ أن يعلمه فأمره النبي ﷺ بتعليم القرآن،وأمره بذلك ثلاث مرات ثم امره أن يقبل الحق على أي حال جاءه ، سواء جاء على لسان حبيب أو بغيض ولا يرد الحق إن جاء على لسان من لا يحب ، وأمره بأن يتعلم القرآن ، وأن يميل معه حيث مال ، ويتبعه على كل حال ، حتى ولو كان على خلاف الهوى ثم ساق أيضاً حديث ابن مسعود وقد ثبت مرفوعاً أن محدثات الأمور شر كلها لا شك ، لأن الخير كله في الإتباع وليس في الإبتداع في دين الله تعالى وخلاف السابقين ، وفيه بيان أن كل محدثة بدعة لا شك ، لكونها جاءت على غير أصل من دين الله تعالى ، وكل بدعة ضلالة لا شك ، ولو لم تكن ضلالة لدل عليها النبي ﷺ فلما لم يدل عليها ويرشد إليها دل على أنها ضلالة وبالتالي فهي في النار

---

[1] لم أقف عليه .

[2] لم أقف عليه موقوفاً . والحديث روي مرفوعاً من حديث جابر بن عبد الله وأخرجه بهذا التمام النسائي (٣/١٨٨-١٨٩) وأخرجه مختصراً الإمام مسلم (٨٧٦) وابن ماجه (٤٥) وهو حديث صحيح .

[3] سورة الشمس الآية (٨) .

[4] سورة طه الآية (٨٥) .

فليس في الجنة ضلالات والله تعالى هو الذي ألهم كل نفس فجورها وضلالها وفسـقها ، أو تقواها وطاعتها وصلاحها وقول الله تعالى لموسى : { فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري }فدل على أن الله تعالى هو الذي يضل من يشاء ويهدي من يشـاء وإن كان جعل لكل شيء سبباً سبحانه وتعالى .

باب المشيئة

قلت : هل أمر الله تعالى بشيء ولم يشأ خلقه ،وشاء شيئاً ولم يأمر به وخلقه ؟ قال نعم . قلت:فما ذلك؟ قال أمر الكافر بالإسلام ولم يشأ خلقه،وشاء الكفر للكافر ولم يأمر به وخلقه .قلت: هل رضي الله شيئاً ولم يأمر به ؟ قال نعم كالعبادات النافلة قلت : هل أمر الله تعالى بشيء ولم يرض به ؟ قال : لأن كل شيء أمر به فقد رضيه

اللغة : (النافلة) الزائدة من الفريضة .

الشرح : بدأ السائل في سؤال الإمام أبي حنيفة عن المشيئة ، فسأله هل يمكن أن يكون الله تعالى أمر بشيء أمراً شرعياً ، لكنه لم يشأ خلقه ، وشاء شيئاً وخلقه من غير أن يأمر به ؟ فأجابه بنعم . وهذا هو الحق ، فما من شيء كائن في هذا الكون إلا بمشيئة الله تعالى ولو كان بغير مشيئته وخلقه لكان له خالق غير الله تعالى ، فإذا تبين هذا وتيقنا قوله تعالى : { اللهُ خالقُ كلِ شيء }[1]وجدنا أن الناس يقع منهم الخير والشر ، والإيمان والكفر ، والله تعالى لم يأمر بالكفر ولا حض عليه ، بل نهى عنه وأمر بضده وهو الإيمان ، وقال تعالى { إن تكفروا فإن الله غني عنكم و لا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم }[2] فإذا تبين أن الله لا يرضى الكفر ، شاء وقوعه وأراده قدراً ، وإن كان لم يرده و لم يرض به شرعاً ، لكنه لم يرد وقوعه قدراً و لم يخلقه أحياناً تبين حقيقة الأمر ، فكفر الكافر بمشيئة الله لكنه ليس برضاه الشرعي ، وهنا سأل السائل هل يمكن أن يرضى الله شيئاً ولا يأمر به ؟ فأجابه بنعم . ومثل له بالعبادات النوافل من غير الفريضة ، فإن الله تعالى رضيها لكنه لم يأمر بها أمر إيجاب ، فسأله السائل هل يمكن أن يأمر بشيء من غير أن يرضاه ؟ فأجابه بالنفي ، لأن كل شيء أمر الله به فقد رضيه ،

---

[1] سورة الزمر الآية (٦٢) .

[2] سورة الزمر الآية (٧) .

ولا يتصور أن يأمر الله الناس شرعاً بشيء لا يرضاه، بل قـــال تعـــالى : { وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها ءاباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون * قل أمر ربي بالقسط...... }[1]

---

[1] سورة الأعراف الآيتان (٢٨:٢٩) .

قلت : يعذب الله العباد على ما يرضى أو على ما لا يرضى ؟ قال يعذبهم الله على ما لا يرضى لأنه يعذبهم على الكفر والمعاصي ، ولا يرضىها . قلت : فيعذبهم على ما يشاء أو على ما لا يشاء ؟ قال : بل يعذبهم على ما يشاء لهم ، لأنه يعذبهم على الكفر والمعاصي ، وشاء للكافر الكفر وللعاصي المعصية قلت : هل أمرهم بالإسلام ثم شاء لهم الكفر ؟ قال : نعم . قلت سبقت مشيئته أمره أو سبق أمره مشيئته ؟ قال : سبقت مشيئته أمره . قلت : فمشيئة الله له رضى أم لا ؟ قال : هو لله رضى ممن عمل بمشيئته وبرضاه وطاعته فيما أمر به ، ومن عمل خلاف ما أمر به فقد عمل بمشيئته ولم يعمل برضاه ولكنه عمل معصيته ، ومعصيته غير رضاه . قلت : يعذب الله العباد على ما يرضى ؟ قال : يعذبهم على ما لا يرضى

اللغة : ....

الشرح : ثم سأله السائل هل يعذب الله العباد على فعلهم لشيء يرضاه أم على فعلهم لشيء لا يرضاه ؟ فأجابه بأن الله يعذبهم على فعل ما لا يرضاه كالكفر والمعاصي فإنه لا يرضاها كما سبق ،فسأله هل يعذبهم الله على ما يشاء أو على ما لا يشاء ؟ فأجابه الإمام بأن الله تعالى حينما يعذبهم على ارتكابه ما لا يرضاه من الكفر والمعاصي فإنه يعذبهم على شيء شاءه في الحقيقة،لأن ما من شيء إلا وهو كائن بمشيئة الله تعالى ، كما في مثل قوله تعالى : {ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء}[1]، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً ، وهنا استغرب السائل وسأل هل أمرهم الله تعالى بالإسلام وشاء لهم الكفر ، فأجابه الإمام بالإيجاب ، وذلك لأن الله تعالى أمرهم بالإسلام أمراً شرعياً ، وإن كان قد شاء لهم الكفر مشيئة قدرية كونية ، فسأله السائل هل مشيئة الله تغلب رضاه أم لا ؟ فأجابه بأن مشيئة الله الكونية تغلب رضاه الشرعي وتسبقه ، فسأله السائل هل مشيئة الله رضى له أم لا ؟ فأجابه الإمام بأن مشيئة الله الكونية رضى له ما دام الإنسان عاملاً بطاعته وبرضاه وبأمره وأما من عمل بخلاف الأمر الشرعي فقد عمل بالمشيئة

---

[1] سورة النحل الآية (٩٣) .

الكونية وإن كان لم يعمل برضى الله تعالى حيث عمل بالمعصية ، والمعصية غير الرضى ، كما قال تعالى : { إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم}[1] ، والإنسان في الحقيقة مطالب ومسؤول عن الإرادة الشرعية والرضى الشرعي وليس مكلفاً بالمشيئة الكونية . فسأله السائل هل يعذب الله العباد على شيء يرضيهم ؟ قال الإمام : يعذبهم على ما لا يرضى

---

[1] سورة الزمر الآية (٧) .

من الكفر ، ولكن يرضى أن يعذبهم وينتقم منهم بتركهم الطاعة وأخذهم بالمعصية قلت : شاء الله للمؤمنين الكفر ؟ قال : لا ولكن شاء للمؤمنين الإيمان كما شاء للكافرين الكفر وكما شاء لأصحاب الزنى الزنى وكما شاء لأصحاب السرقة السرقة وكما شاء لأصحاب العلم العلم وكما شاء لأصحاب الخير الخير ، لأن الله شاء للكفار قبل أن يخلقهم أن يكونوا كفاراً ضلالاً . قلت : يعذب الله الكفار على ما يرضى أن يخلق أم على ما لا يرضى أن يخلق ؟ قال : بل يعذبهم على ما يرضى أن يخلق ، قلت : لم ؟ قال : لأنه يعذبهم على الكفر

اللغة : (ضلالاً) حائدين عن الهدى .

الشرح: من ارتكاب الكفر ، وكذلك فإن الله تعالى يرضى بتعذيبهم والانتقام منهم لما تركوه من الطاعة ، ولما ارتكبوه من المعاصي ، جزاءً وفاقاً ، فإن هذا هو العدل بعينه وهنا سأله السائل هل شاء الله للمؤمنين الكفر ؟ فأجابه الإمام بالنفي ، وذلك لأن مشيئة الله لا تغلب، فإن شاء للمؤمنين أن يؤمنوا، وشاء للكافرين أن يكفروا،وشاء للزناة أن يزنوا ، وللسراق أن يسرقوا ، وشاء لأصحاب العلم أن يعلموا و لأصحاب الخير أن يفعلو السَّلم الخير ، والله تعالى شاء أن يكفر الكافرون وأراد لهم ذلك قبل أن يخلقهم فهم كفروا بمقتضى مشيئة الله تعالى ، كما أنهم كفروا بإرادتهم ومشيئتهم الحرة التي خلقها الله تعالى ، كما أنهم كفروا بإرادتهم ومشيئتهم الحرة التي خلقها الله تعالى فيهم ، { وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين }[1] ، ثم سأله السائل هل يعذب الله الكفار على شيء رضي أن يخلق أم على شيء لا يرضى بخلقه ؟ فأجابه الإمام : بل يعذبهم على ما يرضى أن يخلق وذلك لأن الشيء ما دام خلق ووجد فعلاً ، فإن الله تعالى هو الذي رضى أن يوجد وليس ذلك رضى منه بنفس الشيء ولا به ، إنما الله رضي بأن يوجد ولما استغرب السائل ذلك أخبره بتأويل كلامه ، وذلك لأن الله تعالى يعذب الناس على الكفر ، والكفر إنما وجد بمشيئة الله وهو الذي خلقه .

[1] سورة التكوير الآية (٢٩) .

ورضي أن يخلق الكفر ، ولم يرضَ الكفر بعينه . قلت : قال الله تعالى : { ولا يرضى لعباده الكفر }[1] فكيف يرضى أن يخلق الكفر؟ قال :يشاء لهم ولا يرضى به . قلت :لم؟قال:لأنه خلق ابليس فرضي أن يخلق ابليس ولم يرض نفس ابليس ، وكذلك الخمر والخنازير فرضي أن يخلقهن ولم يرض أنفسهن . قلت : لماذا ؟ قال لأنه لو رضي الخمر بعينها لكان من شربها فقد شرب ما رضي الله ، ولكنه لا يرضى الخمر ولا الكفر ولا ابليس ولا أفعاله ، ولكنه رضي محمداً ﷺ. قلت : أرأيت اليهود حيث قالوا { يد الله مغلولة غلت أيديهم }[2] أرضي الله لهم أن يقولوا ذلك ؟ قال : لا

اللغة :..

الشرح : فالله تعالى رضي أن يخلق الكفر ، غير أنه لم يرض الكفر بعينه ، وهنا استغرب السائل واستدل بقوله تعالى : **{ ولا يرضى لعباده الكفر }** فكيف يقول الإمام إن الله سبحانه رضي أن يخلق الكفر فبين له الإمام أن الله تعالى قد يشاء الأمر ولكنه لا يرضى به ، كما شاء للكفار الكفر ولكنه لم يرض به ، وهنا سأله السائل و لم ؟ فأجاب الإمام بأن الله تعالى خلق ابليس فرضي أن يخلقه لكنه لم يرض نفس ابليس ، ورضي أن يخلق الخمر والخنازير فرضي بخلقهن ولكنه لم يرض أنفسهن. فسأله السائل و لم ؟ فأجابه بأن الله تعالى لو كان قد رضي الخمر بعينه لكان من شربها شارباً لشيء يرضي الله تعالى ولكنه لا يرضى الخمر ولا الكفر ولا ابليس ولا أفعاله ، ولكنه رضي محمداً ﷺ. وهنا سأله السائل : هل رضي الله قول اليهود حيث قالوا : " يد الله مغلولة " ورد عليهم بقوله " غلت أيديهم " ؟ فأجابه الإمام بالنفي ، أي إن الله تعالى لم يرض لهم ذلك حيث قالوه .

---

[1] سورة الزمر الآية (٧).

[2] سورة المائدة الآية (٦٤).

باب آخر في المشيئة

إذا قيل له : أرأيت لو شاء الله أن يخلق الخلق كلهم مطيعين مثل الملائكة هل كان قادراً ؟ فإن قال لا . فقد وصف الله تعالى بغير ما وصف به نفسه . لقوله تعالى : { وهوالقاهر فوق عباده }[1] وقوله تعالى : { هوالقادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم }[2] فإن قال : هو قادر فقل أرأيت لو شاء الله أن يكون ابليس مثل جبريل في الطاعة أما كان قادراً ؟ فإن قال : لا . فقد ترك قوله ووصف الله تعالى بغير صفته . فإن قال : لو أنه زنى أو شرب أو قذف أليس هو بمشيئة الله ؟ قيل : نعم . فإن قال فلم تجر عليه الحدود ؟ قيل : لا يترك ما أمر الله به لأنه لو قطع غلامه كان بمشيئة الله وذمة الناس ، ولو اعتقد حدوده عليه ، وكلاهما وجداً بمشيئة الله ، وقد عمل بمشيئة الله تعالى لكن من عمل بمشيئة المعصية فإنه ليس بها رضا ولا عدل في فعله وقوله :

اللغة : (القاهر) القوي الذي لا يغلب

الشرح : هنا يتطرق الإمام رحمه الله إلى باب آخر في الميشئة ، فيبين أن الله سبحانه وتعالى لو أراد لجعل الخلق جميعاً مؤمنين مطيعين مثل الملائكة ، وأن من نفى قدرة الله سبحانه على ذلك فهو منتقص لله تعالى واصف إياه بغير صفته ، واستدل بقوله تعالى : { وهوالقاهر فوق عباده} وقوله : { قل هوالقادر على أن يبعث عليكم ... } فهذه الآيات تثبت لله تعالى القدرة التي لا تغلب ، ويقول الإمام إن من قال إن الله كان قادراً على هداية جميع الناس يقال له : هل كان الله قادراً على أن يجعل إبليس مثل جبريل في الطاعة لو شاء ؟ فإن قال : لا . فهو راجع عن قوله الأول ، ناف لقدرة الله ، واصف إياه بغير صفته .ويرد الإمام على من يقول : لإن كان الزاني والسارق والشارب

---

[1] سورة الأنعام الآية (١٨) .

[2] سورة الأنعام الآية (٦٥) .

والقاذف بمشيئة الله تعالى فلم تجر عليه الحدود؟ويبين الإمام أنه لا يجوز للإنسان أن يترك ما أمر الله به ، ويوضح ذلك بأنه لو أن الإنسان قطع غلامه ، فإنما يقطع يده مثلاً بمشيئة الله ، وإن كان الناس يذمونه على ذلك ولو أنه أعتق غلامه لحمده الناس على ذلك رغم أنه بمشيئة الله أيضاً وهو في الحالين عامل بما شاء الله تعالى ، ولكن من عمل المعصيــة وإن كان عاملاً بمشيئة الله لكنه عامل بغير مرضاة الله تعالى و لم يعدل في فعله ، ثم إن الإنسان مكلف ومسؤول عن مقتضى الرضى والأمر والنهي الشرعي، وليس عن المشيئة الكونيـة التي هي مجهولة بالنسبة إليه ، فلا يصح أن يحتج الكافر والعاصي بالمشيئة الكونية إذ يقال له : وما أعلمك إذ أقدمت على ما فعلت أن الله قد شــاء لــك ذلــك ، وأراد لــك .

فلم تجر عليه الحدود ؟ سؤال فاسد على أصلهم ، لأنهم لا يثبتون مشيئة الله تعالى في كثير من المعاصي فلا تلزمه الحدود إلا على فعله مثل شرب الخمر وقد فعلها جميعاً بمشيئة الله تعالى .

اللغة : (فاسد) غير صحيح .

الشرح : الكفر أو المعصية ، وهذا غيب لا يدرك حقيقته مخلوق ، وإنما أنت مسؤول عما أمرك الله به في كتابه أو نهاك عنه ، ويبين الإمام أن سؤال السائل فلم تجر عليه الحدود ؟ سؤال فاسد على أصل المنكرين للمشيئة الربانية في إرادة المعاصي ، فإنهم ينكرون هذه المشيئة في كثير من المعاصي ويجعلون الحدود غير لازمة إلا على فعله مثل شرب الخمر ، ويرد بأن كل هذه الأشياء إن فعلها العبد فإنما يفعلها بمشيئة الله تعالى وإرادته .

الخلاصة :

مشيئة الله نافذة في كل شيء ، ولا يحدث شيء بغير مشيئته،ومشيئة العباد مخلوقة

المناقشة :

س١ــ هل مشيئة العباد مستقلة أم لا ؟

س٢ــ ما معنى : " وما تشاءون إلا أن يشاء الله " ؟

س٣ــ هل يخرج شيء عن مشيئة الله ؟

(باب الرد على من يكفر بالذنب)

قلت أرأيت لو أن رجلاً قال : من أذنب ذنباً فهو كافر . ما النقض عليه ؟

فقال : يقال له : قال الله تعالى : { وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين }[1] **فهو ظالم مؤمن وليس بكافر ولا منافق ، وإخوة يوسف قالوا :** { يا أبانا أستغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خطئين }[2] **وكانوا مذنبين لا كافرين ،وقال الله تعالى لمحمد عليه الصلاة والسلام :** { ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر }[3] **ولم يقل من كفرك ، وموسى حين قتل الرجل كان في قتله مذنباً لا كافراً .**

اللغة : (النقض) الجواب المبطل لقوله (نقدر عيه) نضيق عليه .

الشرح : وهذا باب جديد يتعلق بالرد على من يكفر بالذنب ، وقد سأل السائل أبا حنيفة رحمه الله عن ما يرد به على من يكفر مرتكب الذنب ، فأجابه الإمام أنه يرد عليه بأن قول الله تعالى حكاية عن يونس " إني كنت من الظالمين " لو كان الذنب كفراً لكان معنى كلامه : إني كنت من الكافرين وهذا معنى باطل لا شك ، بل هو مؤمن ظلم نفسه وليس بكافر ولا منافق ، وكذلك لما قال إخوة يوسف (إنا كنا خاطئين) أي مذنبين وليسوا كافرين ولا شك ، وكذلك قول الله تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام : { ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر }فلم يقل من كفرك وإنما قال (من ذنبك) وهذا دليل على أن الذنب وإن كان كفراً شرعاً إلا ما أطلق عليه كفر نصاً ، ولا يكفر الإنسان بذنب إلا أن يستحله ، وقد قال الإمام الطحاوي في عقيدته

---

[1] سورة الأنبياء الآية (٨٧) .

[2] سورة يوسف الآية (٩٧) .

[3] سورة الفتح (٢) .

" ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله "[1] وكذلك قال تعالى عن آدم عليه السلام { وعصى آدم ربه فغوى }[2] فهل كان كفر بمعصية ؟ حاشا لله ، وكذلك موسى عليه السلام أخطأ بقتله الرجل لكنه لم يكفر بذلك أبداً ، ومن كفر كل هؤلاء النبين لكان من أعظم المفترين على الله كذباً ، بل ولكفر هو بذلك وقوله بأن موسى عليه السلام أذنب في قتل الرجل فيه رد على الماتريدية الذين يزعمون أن الأنبياء معصومون من الذنوب صغائر أو كبائر عمداً . وقد ذكر شيخ الإسلام أن هؤلاء أرادوا أن ينـزهوا الأنبياء لكنهم وقعوا في التكذيب لتحريفهم نصوص الكتاب والسنة .

الخلاصة :

لا يكفر المسلم بذنب ما لم يستحله .

المناقشة :

س١ـ هل الذنوب كفر أم لا ؟

س٢ـ هل تصدر الذنوب من الأنبياء ؟

س٣ـ ما حكم من يكفر بالذنب ؟

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٩٠)

[2] سورة طه الآية (١٢١) .

الإستثناء في الإيمان

قال : وإذا قال : أنا مؤمن إن شاء الله تعالى يقال له : قال الله تعالى { إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً (٥٦) }[1] فإن كنت مؤمناً فصل عليه ، وإن كنت غير مؤمن فلا تصل عليه ، وقال الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع . . الآية }[2] قال معاذ رضي الله عنه : من شك في الله فإن ذلك يبطل جميع حسناته ، ومن آمن وتعاطى المعاصي يرجى له المغفرة ويخاف عليه من العقوبة.قال السائل لمعاذ رضي الله عنه : إذا كان الشك يهدم الحسنات فإن الإيمان أهدم وأهدم للسيئات . قال معاذ رضي الله عنه والله ما رأيت رجلاً أعجب من هذا الرجل يسأل أمسلم أنت ؟ فيقول لا أدري .

اللغة: (ذروا) اتركوا

الشرح : هنا يتطرق الإمام رحمه الله لمسألة الإستثناء في الإيمان ، فيقول إن من يستثني في إيمانه ـــ أي يقول أنا مؤمن إن شاء الله تعالى ـــ فهذا يحتج عليه بأن الله تعالى قد أمر المؤمنين في كتابه بالصلاة على نبيه ﷺ ، فإن لم يكن مؤمناً فلا يصل على النبي ﷺ ويحتج عليه بأن الله أمر المؤمنين بالسعي إلى صلاة الجمعة وترك البيع ، يعني إذا لم يكن مؤمناً فليقعد ولا يسعى إلى الصلاة ، واستدل بقول معاذ رضي الله عنه أن من شك

[1] سورة الأحزاب الآية (٥٦) .

[2] سورة الجمعة الآية (٩) .

قلت : استدلال الإمام بهاتين الآيتين على بطلان الإستثناء في الإيمان لا يصح ، لأنه ليس المراد في قول القائل أنا مؤمن إن شاء الله تعالى إنه شك في إيمانه حتى يرد عليه ما في هاتين الآيتين ، أو شك في الله حتى يرد عليه أثر معاذ إن ثبت ، بل الإستثناء لأجل خوف التزكية وإدعاء كمال الإيمان ، فإن الإيمان الكامل المطلق لا يوصف به إلا من أتى بجميع الأوامر واجتنب جميع النواهي فإذا قال المرء : أنا مؤمن حقاً . دل على أنه أتى بجميع المأمورات واجتنب جميع المنهيات ، وهذا مع أنه تزكية لنفسه ، قد يكون كذباً في ذات الأمر فلذا جاء عن السلف الإستثناء في الإيمان ، فعلى هذا لا يرد ما في هاتين الآيتين ولا ما في أثر معاذ فإنه لم يشك في إيمانه ، ولم يشك في الله عزوجل حتى يرد عليه ما أورده أبو حنيفة .

في الله فإن ذلك الشك يبطل جميع الحسنات ، أما الإيمان وإن قارنته معاصي فإنه يرجى لصاحبه المغفرة وإن كان يخاف عليه العقوبة ، وهنا أجاب السائل على معاذ بأنه إذا كان الشك يهدم الحسنات فإن الإيمان يهدم السيئات أكثر ، وهذا يصح في الإيمان ابتداء بمعنى أن الإيمان من الكافر يمحو ما قبله من السيئات فهذا حق ، لكن السيئات التي يرتكبها المؤمن قد يغلبها الإيمان والعمل الصالح خصوصاً إن زاد عليها ، ومعنى ذلك أنه قد يكون سبباً في تكفيرها ، وذلك حتى لا نقع فيما ذهب إليه المرجئة من أن الذنوب لا تضر مع الإيمان ، وذكر الإمام تعجب معاذ رضي الله عنه الشديد ممن يسأل أمسلم أنت ؟ فيقول لا أدري . وذلك لأنه هكذا يكون شاكاً حتى في إسلامه ولا يدري إن كان قد أسلم أم إنه ما زال كافراً

فيقال له : قولك لا أدري أعدل أم جور ؟ فإن قال عدل . فقل أرأيت ما كان في الدنيا عدلاً أليس في الأخرة عدلاً ؟ فإن قال : نعم . فقل أتؤمن بعذاب القبر ونكير ونكير وبالقدر خيره وشره من الله تعالى ؟ فإن قال نعم . فقل له : أمؤمن أنت ؟ فإن قال لا أدري . فقل له لا دريت ولا فهمت ولا أفلحت . قلت : ومن قال : إن الجنة والنار ليستا بمخلوقتين[1] فقل له : هما شيء أوليستا بشيء وقد قال الله تعالى : { خلق كل شيء }[2] وقال الله تعالى : { إنا كل شيء خلقنه بقدر }[3] ، وقد قال الله تعالى :{ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً }[4] فإن قال : إنهما تفنيان . فقل له : وصف الله نعيمهما بقوله : { لا مقطوعة ولا ممنوعة }[5] ومن قال إنهما تفنيان بعد دخول أهلهما فيهما فقد كفر بالله تعالى لأنه أنكر الخلود فيهما .

اللغة : (تفنيان) أي ينقضي بقاؤهما .

الشرح : فهذا يقال له : هذا عدل أم جور ؟ فإذا قال عدل . فيقال له : إن ما يكون عدلاً في الدنيا لا بد أن يكون عدلاً في الآخرة فإن قال : نعم . فيقال له : أمؤمن أنت ؟ فإن قال لا أدري . فيقال له : لا دريت ولا فهمت ولا أفلحت . لأنه شاك في نفسه ، غير جازم بإيمانها.

ثم سأله السائل عمن قال إن الجنة والنار ليستا مخلوقتين ، فأمره أن يحتج عليه بالآيات المذكورة حيث تثبت أن كل شيء فالله خالقه ، ثم إن زعم فناءهما يحتج عليه بأن الله تعالى أخبر أن نعيم الجنة لا ينقطع وذلك بقوله { **لا مقطوعة ولا ممنوعة** } فإن

---

[1] لعل هنا سقطاً ، وسياق الكلام يقتضي أن يقال : قال .

[2] سورة الزمر الآية (٦٢) .

[3] سورة القمر الآية (٤٩) .

[4] سورة غافر الآية (٤٦) .

[5] سورة الواقعة الآية (٣٣) .

زعم أن الجنة والنار بعد أن يدخلهما أهلهما تفنيان ، فإنه يكفر هنا لأن الله تعالى أخبر أن أهل الجنة والنار خالدون فيها كما ثبت ذلك في مواضع كثيرة من كتابه .

الخلاصة :

يجوز الاستثناء في الإيمان على ما سبق بيانه . والجنة والنار مخلوقتان الآن .

المناقشة :

س١ــ فصل القول في مسألة الاستثناء في الإيمان .

س٢ــ هل الجنة والنار مخلوقتان أم لا ؟ وما حكم من أنكر ذلك ؟

باب في الصفات

قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى : (لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين ، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف ، وهو قول أهل السنة والجماعة ، وهو يغضب ويرضى ولا يقال غضبه عقوبته ورضاه ثوابه ، ونصفه كما وصف نفسه ، أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، حي قيوم قادر سميع بصير عالم ، يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه وليست جارحة

اللغة : (صمد) أي مقصود في الحوائج .

الشرح : لا ينبغي أن يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين ، فإن قال { ليس كمثله شيء }[1] ومن صفاته تعالى صفة الغضب وصفة الرضا،كما قال تعالى : { وغضب الله عليه }[2] وقال : { رضي الله عنهم ورضوا عنه }[3] وهما صفتان من صفاته بلا كيف ، أي لا يمكن تكييفهما بكيفية معينة ، فإن هذا مما لا يدرك بحال ، وهذا هو قول أهل السنة والجماعة ، فالله تعالى يغضب ويرضى ، على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى ، وهو غضب حقيقي ، ورضى حقيقي ، وليس كما زعم بعض النفاة أن غضبه عقوبته ورضاه ثوابه ، بل العقوبة لازم الغضب ، والثواب لازم الرضى ، لكن لا تفسر الصفة بلازمها بل هي صفة حقيقية على الكيفية اللائقة بجلال الله تعالى وعظمته ، ونحن نصف الله تعالى بما وصف به نفسه ، فهو سبحانه أحد لا شريك له ، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله . وهو تعالى صمد كما قال : { الله الصمد }[4] حيث يقصد الخلائق جميعاً في حوائجهم ، لأنه المالك القادر والله تعالى لم يلد و لم يولد ،

---

[1] سورة الشورى الآية (١١).

[2] سورة النساء الآية (٩٣).

[3] سورة البينة الآية (٨) .

[4] سورة الإخلاص الآية (٢) .

كما قال عن نفسه : { لم يلد ولم يولد }[1] ، فالله تعالى ليس له ولد ولا والدة ، بل هو سبحانه لا يشبه خلقه ولا يشبهه خلقه ، وليس له كفواً أحد ، فلا يماثله ولا يكافئه شيء ، وليس له نظير من خلقه وهو تعالى حي لا يموت ، قيوم لا ينام قادر لا يغلب ولا يعجزه شيء ، سميع وسع سمعه الأصوات بصير لا يغيب عن بصره شيء ، عالم لا تخفى عليه خافية ، له يد وكما قال تعالى : { يد الله فوق أيديهم }[2] لكنها ليست كأيدي المخلوقين ، فإنه ليس كمثله شيء ، وليس جارحه مثل خلقه ، بل على الكيفية اللائقة به تعالى .

---

[1] سورة الإخلاص الآية (٣) .

[2] سورة الفتح الآية (١٠) .

وهو خالق الأيدي ، ووجهه ليس كوجوه خلقه ، وهو خالق كل الوجـــوه ، ونفسه ليست كنفس خلقه ، وهو خالق كـــل النفـــوس { ليس كمثله شيء وهو السميع البصير }[1]. قلت : أرأيت لو قيل : أين الله تعالى ؟ فقال : يقال لـــه كـــان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق ، وكان الله تعالى ولم يكن أين ولا خلق كل شـــيء وهو خالق كل شيء ، فإن قيل : بأي شيء شاء الشائي المشيء ؟ فقل بالصفة ، وهو قادر يقدر بالقدرة وعالم يعلم بالعلم ومالك يملك بالملك . فإن قيل:أشاء المشيئة وقدر بالمشيئة وشاء بالعلم ؟

اللغة : ....

الشرح : وهو سبحانه خالق أيدي عباده ، وله وجه كما قال : **{ كل شيء هالك إلا وجهه }**[2] وليس كوجوه المخلوقين ، وهو سبحانه خالق وجوه عبـــاده ، ولـــه سبحانه نفس كما قال : **{ويحذركم الله نفسه }**[3] ولكنها ليس كنفوس خلقـــه ، وهـــو سبحانه خالق النفوس،كما قال تعالى : **{الله خالق كل شيء }**[4].وهنا سأله السائل عـن الجواب على ما يقول : أين الله تعالى ؟ فأخبره الإمام بأن الله تعالى كان موجـــوداً بـــلا مكان قبل أن يخلق خلقه،وكان بلا أين ولا خلق ولا شيء،وهو سبحانه خالق كل شيء

تنبيه: لعل هذا من كلام أبي مطيع ، وكان الأولى الإقتصار علـــى مـــا ورد في حديث النبي ﷺ لما قال للجارية : أين الله ؟ قالت في السماء . وقد سبق إيـــراده فـــهذا الكلام بطوله مخالف لموجب الحديث المذكور وكان الأولى بالإمام إن كان كلامـــه أن

---

[1] سورة الشورى الآية (١١) .

[2] سورة القصص (٨٨) .

[3] سورة آل عمران الآية (٢٨).

[4] سورة الزمر الآية (٦٢).

يقتصر على الإجابة عن السؤال بأين الله؟ بهذا الحديث ، ولا داعي لتكلف الجواب بأشياء قد توقع في الزلل .

وما بعده من كلام لعله كذلك ليس من كلام الإمام ، ففيه تكلف وتعسف نربأ به عنه واستعمال لعبارات ولألفاظ لم يتكلم فيها السلف فيما نعلم ، والراجح أن كل هذا ليس من كلامه رحمه الله .

الخلاصة :

صفات الله تعالى ثابتة على الحقيقة وهي ليست كصفات خلقه .

المناقشة :

س١ــ هل صفات الله حقيقية أم لا ؟

س٢ــ هل تشبه صفات الله صفات خلقه ؟

باب في الإيمان

فإن قيل : أين مستقر الإيمان ؟ يقال : معدنه ومستقره القلب ، وفرعه في الجسد فإن قيل : هو في أصبعك ؟ فقل : نعم . فإن قيل : فإن قطعت أين يذهب الإيمان منها ؟ قال : فقل : إلى القلب . فإن قال : هل يطلب الله من العباد شيئاً ؟ فقل : لا . إنما هم يطلبون منه. فإن قال : ما حق الله تعالى عليهم ؟ فقال : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، فإذا فعلوا ذلك فحقهم عليه أن يغفر لهم ويثيبهم عليه ، فإن الله تعالى يرضى عن المؤمنين لقوله تعالى :{ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة }[1] ويسخط على ابليس ومعنى قوله تعالى { إعملوا ما شئتم}[2] فهو وعيد منه ، وقوله تعالى : { وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى } [3] أي بصرناهم وبينا لهم

اللغة : (مستقر) مقر ومنتهى (معدنه) أصله (يثيبهم) يعطيهم الثواب (يسخط) يغضب (وعيد) تهديد ضد الوعد (العمى) الضلالة .

الشرح : يبين الإمام رحمه الله أن أصل الإيمان ومستقره وجوهره في القلب ، وأما ما يكون في الجسد من الأعمال فإنه فرع الإيمان ، جرياً منه على أصله في أن الإيمان مجرد التصديق والإقرار ويبين أن الإيمان يكون حتى في إصبع ، فإن قطعت عادت إلى القلب،وهذه الألفاظ والطريقة لم تعهد عن السلف رضي الله عنهم،فالعجب كل العجب من الإمام كيف تطرق إليها،ولا أحسب أن كل هذا الكلام من كلام أبي حنيفة بل هو من كلام أبي مطيع ثم بين أن الله لا يطلب من الناس شيئاً لكنهم هم الذين يطلبون منه

[1] سورة الفتح الآية (١٨) .

[2] سورة فصلت الآية (٤٠) .

[3] سورة فصلت الآية (١٧)

كما قال تعالى: {يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد}[1]، ويبين ان حق الله على العبد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقهم عليه الذي أوجبه على نفسه أن لا يعذبهم إن عبدوه، وقد قال صلى الله عليه وسلم " أتدري ما حق الله على العباد؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حق العباد على الله؟ أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً "[2] وذكر أن الله يرضى عن المؤمنين لما ثبت من ذلك في الآيات، ويسخط على ابليس ومن تبعه، وبين أن قوله تعالى: {اعملوا ماشئتم} ليس من باب التخيير والإباحة، لكنه من باب التهديد والوعيد، وأما هداية ثمود في الآية فهي هداية البيان والإرشاد فإن الله تعالى بين لهم على لسان رسوله لكنهم استحبوا الضلالة.

[1] سورة فاطر الآية (١٥).

[2] البخاري (١٣/٣٥٩:٣٦٠) ح٧٣٧٣ في التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله، ومسلم (٥٩/١)ح٣٠ في الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، كلاهما من حديث الأسود بن هلال عن معاذ به.

وقوله تعالى :{ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر }[1] فهو وعيد ، وقوله تعالى :{ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون }[2] أي ليوحدوني ، ولكن كلها بتقدير الله تعالى خيرها وشرها حلوها ومرها وضرها ونفعها ، وقال الله تعالى :{ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين }[3]،وقال الله تعالى : {ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله }[4] ، وقال تعالى :{ وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله }[5]، وقال تعالى : { ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك }[6] ــ أي بمشيئته ــ {ولذلك خلقهم }[7] ، وقال تعالى :{ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة }[8] ، وقال تعالى :{ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين }[9] ــ أي بقدر الله سبحانه ــ وقال شعيب صلوات الله على نبينا وعليه { قد افترينا على . .

اللغة : (تكره) تجبر ، من الإكراه (قبلاً) أي رأوه عياناً (الطاغوت) كل ما عبد من دون الله وهو راض .

---

[1] سورة الكهف الآية (٢٩) .
[2] سورة الذاريات الآية (٥٦) .
[3] سورة يونس الآية (٩٩) .
[4] سورة الإنعام الآية (١١١) .
[5] سورة يونس الآية (١٠٠) .
[6] سورة هود الآيتان (١١٨:١١٩) .
[7] سورة هود الآية (١١٩) .
[8] سورة النحل الآية (٣٦)..
[9] سورة التكوير الآية (٢٩)

الشرح : على الهدى ، وآثروا الكفر على الإيمان ، ثم ساق الإمام رحمه الله تعالى قوله عزوجل :{ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر } وهذا ليس إباحة وتخير ولكنه وعيد وتهديد لمن آثر الكفر ، ويفهم منه أنه حر في أن يكفر ، غير أن عليه أن يتحمل العاقبة عن كفره ، ثم ساق الإمام الآية المبينة أن التوحيد وعبادة الله تعالى هو الغاية من خلق الجن والإنس ، وساق كذلك آيات كثيرة كلها تدلل على أن مشيئة الله نافذة ، وأن كل شيء يحدث بقدرته تعالى ومشيئته ، كلها توضح أن من اهتدى بإذن الله تعالى ومن ضل فكذلك بإذن الله تعالى ، فكل شيء بمشيئته تعالى وذلك لأن الله تعالى هو خالق الناس وخالق مشيئتهم وهذا ما يجب الإيمان به ، أنه لا يكون شيء في الكون إلا بإذنه تعالى .

الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين }[1] ، وقال نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام :{ لا ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون}[2] ، قال تعالى :{ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين}[3]، وقال تعالى : { ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب}[4] والله أعلم .تم الفقه الأبسط لأبي حنيفة رحمه الله وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

اللغة : (نعود) نرجع (يغويكم) يضلكم (أناب) رجع إلى ربه .

الشرح : وهكذا الآيات التي ساقها الإمام هنا كلها تنحو هذا المنحى ، وهو إثبات أن كل شيء كائن فإنما هو بمشيئة الله تعالى ، وإثبات أن من ضل فقد ضل بإذن الله تعالى ، وأن الله يفتن من شاء من عباده ، وهذا الباب مما يفيد في إثبات المشيئة الشاملة لكل شيء لله تعالى .

---

[1] سورة الأعراف الآية (٨٩) .

[2] سورة هود الآية (٣٤) .

[3] سورة يوسف الآية (٢٤) .

[4] سورة ص الآية (٣٤) .

فهرس الموضوعات